جامعة المثنى / كلية التربية للعلوم الانسانية
مجلة اوروك للعلوم الانسانية
موقع المجلة : www.muthuruk.com
BM-Publisher

حديث نزول القرآن بالتفخيم ومصاديقه في الموروث النبوي من القراءات القرآنية وتخريج دلالته على ما وافقها من لغات العرب

علي محسن بادي*
جامعة سومر / كلية التربية الأساسية

معلومات المقالة

تاريخ المقالة:
الاستلام: 2019/9/25
تاريخ التعديل : 2019/10/9
قبول النشر: 2019 /10/21
متوفر على النت:2019/12/15

الكلمات المفتاحية :
ظاهرة التفخيم الصوتي
القراءات القرآنية
الحديث النبوي

الملخص

الحديث النبوي الشريف بوصفه موردا مهما من موارد الدرس اللغوي في العربية الفصيحة بمستوياته كلها هو الإطار العام لهذه الدراسة . وموضوعها الخاص هو : ما تعلق بجانب معين من المستوى الصوتي في الموروث النبوي من القراءات القرآنية ممثلا بحديث (نزول القرآن بالتفخيم) . ومادتها الرئيسة : روايات هذا الحديث وما اتصل بها من مباحث لغوية . ومصادرها : مصنفات علوم القرآن وعلم اللغة بشتى اتجاهاتها ، فضلا عن مدونات الحديث المشهورة ، وكتب علم الرجال ، وبعض المراجع الحديثة ذات الصلة بموضوعها . ومنهجها : استقرائي وصفي تحقيقي . وغاياتها : تحقيق أصل الحديث بتخريجه في مصادره المعروفة كلها ، وشرح مواقفها من مسألة صحته متنا وسندا ، وبيان ما ورد فيها ، بالنص الصريح أو بالإشارة ، من دلالات لغوية لمصطلح التفخيم ، وتأصيل هذه الدلالة في ما وافق صفتها من لهجات القبائل العربية المشهورة . والنتيجة الجوهرية المرجوة منها : تحقيق هذه الغايات بقدر يفي بإظهار ما للأحاديث النبوية المتعلقة بالقراءات واللهجات من مكانة بين بقية موارد الدرس اللغوي في العربية بنحو عام ، وبما للحديث المقصود بالدراسة من قيمة علمية في مجال المستوى الصوتي من البحث اللغوي في العربية الفصحى بوجه خاص .

© جميع الحقوق محفوظة لدى جامعة المثنى 2019

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله الطاهرين وأصحابه المنتجبين ، وبعد : فقد بدأ الجهد اللغوي في العربية إبان القرن الأول للهجرة بتقريرات يسيرة اقتضاها تقويم اللسان في قراءة القرآن الكريم والكلام المعتاد ، ثم لم تلبث أن صارت منذ القرن الثاني درسا منهجيا منتظما شمل مستويات البحث اللغوي كلها ، ولاسيما المستوى الصوتي الذي وجد مادته الأصيلة في المنقول من كلام العرب بالمشافهة المباشرة ، ثم القرآن الكريم وقراءاته المختلفة التي اكتسبت قيمتها من رجوع أصولها إلى قراءة النبي ، صلى الله عليه وآله وسلم .

ورجوع القراءات القرآنية المختلفة المتواترة إلى القراءة النبوية أمر معلوم بالضرورة مما شاع واشتهر مِن تلقّي القرّاء المشهورين القراءة عن شيوخ بأسانيد تنتهي إلى النبي ، صلى الله عليه وآله وسلم ؛ ولكن وحدة مصدرها واشتمالها على وجوه من الاختلافات ، ولاسيما في أصول الأداء العامة ، يُحوج المهتم بها إلى البحث عن دليل يدعم نسبتها الأصيلة المباشرة في الموروث

*الناشر الرئيسي : E-mail : a.badi@uos.edu.iq

النبوي الخاص بـ (القراءات) و (اللغات) ، أي عما نُسب منها إلى (قراءة) النبي أو (لغته) ، صلى الله عليه وآله وسلم ، بهذه الصيغة من النص الصريح على النسبة ، لكي تنكشف شبهة احتمال الغلط أو الوهم في نقل الوجوه المختلفة عن مصدر واحد ، ثم تزداد صحة تعدد الوجوه في القراءة النبوية ثباتا يناسب ثبات علته المشهورة ، أي تيسير قراءة القرآن الكريم على الأمة الإسلامية من العرب وغيرهم ، فضلا عما يفيده الدليل الخاص المفاد مما نسب إلى (قراءة) النبي أو (لغته) ، صلى الله عليه وآله وسلم ، من تأصيل ما تضمنه من سمات لغوية في العربية الفصحى .

وقد تهيأ لنا الوقوف في مصادر شتى على شواهد ليست بالقليلة من القراءات القرآنية منسوبة إلى (قراءة) النبي ، أو إلى (لغته) ، صلى الله عليه وآله وسلم ، ولكن على الرغم من وفرتها لم نوفق للوقوف على دراسة معاصرة خاصة بها ، بما تعنيه (الخصوصية) من وصف دقيق ، لذلك عمدنا إلى جمع ما اتصل منها بالمستوى الصوتي ، لما قدرناه من علو قيمته العلمية بوصفه القاعدة المتينة لبقية المستويات اللغوية ، ثم قسمناه على قسمين بحسب استيفاء مقومات التأصيل ، ضم القسم الأول : الظواهر الصوتية المقترنة شواهدها من القراءات بأحاديث مستقلة خاصة بها ، كالتفخيم ، والإمالة ، وتسهيل الهمز وتحقيقه . وضم القسم الآخر : ظواهر صوتية رئيسة لم تقترن شواهدها من القراءات القرآنية بأحاديث خاصة بها ، كحذف الحروف الصامتة ، وإبدال بعضها من بعض ، وحذف الحركات الطويلة والقصيرة ، وإبدال بعضها من بعض ، وما تفرع عن هذه الظواهر الرئيسة من ظواهر صوتية أخرى . ثم استخلصنا من القسم الأول ما تعلق بظاهرة التفخيم ليكون المادة الرئيسة لهذه الدراسة ، وهو على وجه التحديد حديث نزول القرآن بالتفخيم .

والخطوات الرئيسة التي سارت بها دراستنا للحديث : ثلاث في بناء مادتها الأصيلة ، وست في الوصف والمعالجة والتوجيه والتقويم ، يكتنفها تمهيد في بيان مفهوم التفخيم وصلته بالإمالة التي طالما اقترن بها في مباحث القدماء والمحدثين ، وخاتمة أوجزت أهم نتائج الدراسة .

الخطوة الأولى في بناء قاعدة الدراسة : الاستدلال على شهرة حديث نزول القرآن بالتفخيم بحصر رواياته واستقصائها كلها بعد استقراء واسع في شتى المصادر . والثانية : تمييز الروايات بعضها من بعض ، واصطلاحنا العام في ذلك عنونتها بأسماء أصحاب مصادرها . والثالثة : ترتيب عرض نصوص الروايات تامة بحسب تقدم مصادرها في الزمن ، لكي تظهر ملامح تأثير بعضها في بعض بجلاء .

والخطوة الأولى في المعالجة العلمية لمادة الدراسة الأصيلة ، أي روايات حديث نزول القرآن بالتفخيم : إيضاح صيغ إسنادها وصفاتها من حيث التمام والنقص . والثانية : استجلاء موقف مصادرها من مسألة صحة الحديث متنا وإسنادا ، والتنبيه على المواقف الشاذة في هذه المسألة ، وتفسيرها بما وافق وجه الحقيقة الراجحة . والثالثة : بيان الموقف من رواية أصل الحديث مجردا أو مقرونا بالشواهد القرآنية المدرجة معه ، وإظهار ما في بعض مصادره من ضروب الشواهد الأخرى . والرابعة : إبراز الدلالات اللغوية للمصطلح المعبر عن ظاهرة التفخيم من سياق روايات الحديث وما تخللها من معالجات لغوية صوتية . والخامسة : استقصاء جهات نسبة ظاهرة التفخيم إلى أصولها من لغات القبائل العربية بعد ثبات صحة نسبتها إلى القراءة النبوية ، وإيضاح مواطن الخلاف فيها . والخطوة الأخيرة : استنباط العلاقة بين حديث (نزول القرآن بالتفخيم) وحديث (نزول القرآن على سبعة أحرف) على وفق قناعتنا .

وتنوعت مصادر الدراسة حتى كادت تشمل معظم اتجاهات التأليف في اللغة وعلوم القرآن بسبب وثاقة صلة موضوعها بهذه الاتجاهات من جهة ، والمنهج المتبع في مجمل خطوات الدراسة من جهة أخرى ، فهو منهج وصفي تحقيقي يقوم على الاستقراء الواسع للنصوص والآراء بالانتقال من العام إلى الخاص وما يتطلبه ذلك من وفرة التخريج المحكوم بضابط التقدم في الزمن ، مع التنبيه على المسائل التي وجدت فيها خلافا في الآراء أو المواقف ، وتوجيهها بما يوفق القناعة السائدة أو الرأي المطرد .

ولو وفقت الدراسة للسير في الخطوات المرسومة لها على وفق هذا المنهج فربما صارت المرجع الرئيس لكل ما تعلق بحديث

DOI:10.18018/URUK/019-12/2290-2313

نزول القرآن بالتفخيم ، وربما بلغت بعض غاياتها العامة في التنبيه على وجود مورد لغوي في العربية الفصحى جدير بالعناية والاهتمام ، هو ما نسب إلى النبي ، صلى الله عليه وآله وسلم ، من وجوه القراءات واللغات نسبة صريحة مباشرة دون سواها من الوجوه التي لم تتحقق فيها هذه الصفة ؛ لأنها تفوق غيرها من مادة اللغة وشواهدها في إظهار جوانب مهمة من خصائص العربية وتاريخها بما توفر لها من أسباب الحفظ والوثاقة ، فضلا عن بلوغ الغاية الخاصة في تقديم مصداق لقيمة البحث في هذا المورد بمحاولة يسيرة في دراسة ظاهرة صوتية مشهورة في العربية هي ظاهرة التفخيم ، واعتذر إلى الله تعالى ، وإلى رسوله الكريم ، صلى الله عليه وآله وسلم ، وإلى عامة أهل العلم مما في هذه الدراسة من نقص وخلل وأغلاط غير مقصودة ، والحمد لله أولا وآخرا .

مفهوم التفخيم وصلته بالإمالة

لم يتيسر لنا الوقوف على صيغة محددة الألفاظ لتعريف مصطلح (التفخيم) في المصادر القديمة على الرغم من كثرة تردده فيها ، بل اقتصر معظم أصحابها الذين ذكروا ظاهرة التفخيم على وصف المعالجة الصوتية فيها وصفا مجردا ، أو مقرونا بالأمثلة أو الشواهد ؛ من الصنف الأول قول الواسطي (ت 740 هـ) : «اعلم أن الإمالة والتفخيم لغتان مشهورتان فاشيتان على ألسنة فصحاء العرب الذين نزل القرآن بلغتهم ، غير أن الأصل منهما التفخيم لعدم توقفه على سبب ، وجواز تفخيم كل ممال دون عكسه ، فالتفخيم لغة أهل الحجاز ، والإمالة لغة كثير من العرب خاصة بني تميم ، وهو يقع في الأسماء والأفعال»[1] . ومن الصنف الآخر قول النحاس في أثناء إعراب قوله تعالى ﴿ثم استوى﴾ [البقرة 29] : «أهل الحجاز يفخمون ، وأهل نجد يميلون ليدلوا على أنه من ذوات الياء»[2] .

وورد تعريف التفخيم بمصطلحات مرادفة ، بعضها مما يكاد يختص به علم التجويد بحسب ما يأتي بيانه في موضع الكلام على موقف أبي عمرو الداني (ت 444 هـ) من دلالة مصطلح التفخيم الوارد في الحديث ، وبعضها شائع مشهور هو مصطلح (الفتح) على وجه التحديد ؛ قال الداني في أثناء الكلام على أضرب الإمالة : «... والمصنفون من القراء ، من المتقدمين وغيرهم ، قد يعبرون عن هذين الضربين من الممال بـ (الكسر) مجازا واتساعا كما يعبرون عن الفتح بـ (التفخيم)»[3] .

والمعالجة الصوتية التي دل عليها مصطلح التفخيم هي المعالجة الصوتية التي دل عليها مصطلح الفتح نفسها ؛ قال ابن الطحان (ت 561 هـ) : «الفتح : عبارة عن النطق بالألف مركبة على فتحة خالصة غير ممالة إلى مضاف الكسر»[4] . وقال ابن الجزري (ت 833 هـ) : «الفتح هنا عبارة عن فتح القارئ لفيه بلفظ الحرف ، وهو فيما بعده ألف أظهر ، ويقال له أيضا التفخيم ... والإمالة أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة ، وبالألف نحو الياء»[5] ، ولذلك وردت المقابلة بين (الفتح) و (الإمالة) بنحو ما وردت المقابلة بين (التفخيم) والإمالة ، كما في قول الداني : «اعلموا ، أحسن الله إرشادكم ، أن الفتح والإمالة فيما اختلفت القراء فيه لغتان مشهورتان مستعملتان فاشيتان على ألسنة الفصحاء من العرب الذين نزل القرآن بلغتهم ، فالفتح لغة أهل الحجاز ، والإمالة لغة عامة أهل نجد من تميم وأسد وقيس ، والفتح عند علمائنا : الأصل ، والإمالة فرع داخل عليه»[6] .

واستنتج المحدثون مما تقدم إيجازه تعريفا للتفخيم فحواه : تغليظ النطق بالصوت حين يضيق فراغ البلعوم بسبب تراجع مؤخرة اللسان ، وسبب الضيق دخول صوت الواو أو الضمة في الصوت المفخم[7] . ويكاد يختص هذا التعريف بتفخيم الألف والفتحة في اللهجة الحجازية بحسب ما يأتي بيانه في موضع الكلام على جهات النسبة ، ولكنه شمل صوتين آخرين أيضا هما الراء واللام بشروط مبسوطة في المصادر القديمة والحديثة[8] ، وقد نسبت هذه الحالة من التفخيم إلى لهجة أهل الحجاز في ضمن شواهد من القراءات القرآنية أيضا[9] ، والحالة الأولى ، أي تفخيم الألف والفتحة ، أشهر في لهجتهم ، فضلا عما لحق التفخيم من تقييد بالألف والفتحة نتيجة اقترانه بالإمالة المختصة بالألف والفتحة أيضا ؛ إذ غالبا ما يقرن (التفخيم) بمصطلح صوتي آخر هو (الإمالة) ، وبخلاف تعريف التفخيم إن تعريف الإمالة عند القدماء والمحدثين له صيغ عدة ، لكن مضمونها يكاد يكون واحدا ، هو : إمالة النطق بالألف نحو الياء ، وبالفتحة نحو الكسرة ، أي إن النطق بالألف والفتحة من دون إمالة هو الأصل[10] .

DOI:10.18018/URUK/019-12/2290-2313

حديث التفخيم

جاء مصطلح (التفخيم) وصفا لمجمل ما يحتمل فحواه من آيات القرآن الكريم في ضمن حديث نبوي استوفى مقومات تأصيله في الموروث النبوي الخاص بالقراءات واللغات ، نصه (أنزل القرآن بالتفخيم) ، بإسناد أصيل واحد له فروع عدة تبعا لتعدد رواياته في مصادرها التي لم تخل من تفاوت من حيث الاقتصار على رواية أصله مجردا أو مشفوعا بالشواهد ، فضلا عن تفاوت في روايته بأسانيد تامة أو مُعَلَّقَة ، وقد استوفينا استقراء الروايات في تلك المصادر ، ومن ثم عرضها بحسب السبق في الزمن ، وبيان مستويات ظهور ما للحديث من دلالة لغوية فيها .

رواية أبي عبيد

أقدم رواية للحديث وردت عند أبي عبيد القاسم بن سلام الهروي (ت 224 هـ) في (باب إعراب القرآن وما يستحب للقارئ من ذلك وما يؤمر به) من كتابه (فضائل القرآن) ، وعنوان الباب يفصح عن مناسبة ورود الحديث فيه ، أعني القصد لما في الحديث من دلالة اصطلاحية لغوية ؛ قال أبو عبيد : «حدثنا يوسف بن الغرق ، عن محمد بن عبد العزيز ، عن خارجة بن زيد ، عن زيد بن ثابت ، قال : نزل القرآن بالتفخيم»[11] . كذا ورد الحديث موقوفا على زيد من دون شاهد أو مثال في رواية أبي عبيد ، وهو مرفوع في ما يأتي ذكره من رواياته المسندة كلها ، وقد تضمن بعضها أمثلة أو شواهد للتفخيم مدرجة مع أصل الحديث .

واحتمال أصالة صفة إسناد الحديث في هذه الرواية جائز ، وأرجح منه احتمال رجوعها إلى سقط أصاب الإسناد بسبب غلط في نسخ أصل كتاب أبي عبيد ، ومما يؤيد هذا الوجه ، غير ورود الحديث مرفوعا في بقية رواياته المسندة التي لا يقل أبو عبيد عن أصحابها علما بالحديث ، وجود نظير لهذا الخلل هو وقوع سقط من الإسناد في نسخ نشرة كتاب أبي عبيد أصاب اسم أبي الزناد عبد الله بن ذكوان المدني ، وهو الواسطة بين محمد بن عبد العزيز وخارجة بن زيد بحسب الظاهر من صيغ الإسناد في بقية الروايات . وستأتي الإشارة قريبا إلى أن الذهبي ذكر الرواية المرفوعة أيضا ، ولكنه رجح أن يكون الحديث موقوفا على زيد ، فلعله استند في ترجيحه على رواية أبي عبيد هذه لو سلمت صيغة إسنادها من الخلل .

رواية ابن سعدان الضرير

روى أبو جعفر محمد بن سعدان الكوفي الضرير (ت 231 هـ) الحديث في كتابه (الوقف والابتداء) مرفوعا بالإسناد الأصيل نفسه ، وكان أبو اليقظان عمار بن عبد الملك هو الواسطة بينه وبين محمد بن عبد العزيز ، قال : «حدثنا عمار أبو اليقظان المستملي ، عن محمد بن عبد العزيز ، عن المدني أبي الزناد ، عن خارجة بن زيد بن ثابت ، عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، قال : (نزل القرآن بالتفخيم) . قال عمار : قال محمد بن عبد العزيز : قلت لأبي الزناد : ما التفخيم ؟ قال : فأخبرني عن خارجة بن زيد ، قال : هو مثل قول الله عز وجل ﴿ عُذْراً أو نُذْراً﴾ [المرسلات 6] ، وما أشبهه»[12] . كذا جاءت نسبة الاستشهاد إلى خارجة بن زيد ، وجاء ضبط الشاهد بسكون الذال من الكلمتين في رواية الضرير .

والدلالة اللغوية لرواية الحديث عند الضرير ظاهرة من سياق ما ورد فيها من استشهاد ، فضلا عن مجيئها في موضع من مقدمة كتابه يحفل بنظائرها من الروايات المتعلقة بالجانب اللغوي من القرآن الكريم التي أرادها أن تكون تمهيدا لموضوعه الأصيل[13] .

رواية ابن الأنباري

روى ابن الأنباري ، محمد بن القاسم (ت 328 هـ) ، في (إيضاح الوقف والابتداء) الحديث بإسناد يتصل بإسناد عمار بن عبد الملك أبي اليقظان المستملي نفسه ؛ قال : «حدثنا بشر بن موسى ، قال : حدثنا محمد بن مقاتل ، قال : أخبرنا عمار بن عبد الملك ، قال : حدثني محمد بن عبد العزيز القرشي قاضي المدينة ، قال : حدثنا أبو الزناد ، عن خارجة بن زيد ، عن زيد بن ثابت : أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قال : (نزل القرآن بالتفخيم) . قال محمد بن مقاتل : سمعت عمارا يقول : ﴿ عُذْراً أو نُذْراً﴾»[14] .

كذا جاءت نسبة الاستشهاد إلى عمار ، ومر بنا في رواية الضرير أن عمارا نقل الاستشهاد عن محمد بن عبد العزيز ، عن أبي الزناد ، عن خارجة . وجاء ضبط الشاهد بضم الذال من الكلمتين أيضا في رواية ابن الأنباري .

DOI:10.18018/URUK/019-12/2290-2313

والدلالة اللغوية لرواية الحديث عند ابن الأنباري ظاهرة أتم الظهور ، إذ رواه في ضمن موضع خالص من مقدمات كتابه للأحاديث والآثار الخاصة بالجانب اللغوي من قراءة القرآن الكريم ، ولكن علاقة هذه الدلالة المباشرة بجوهر موضوع كتاب ابن الأنباري تكاد تكون منعدمة ، إذ لا صلة لفحوى الدلالة الاصطلاحية اللغوية للتفخيم بتعيين مواضع الوقف والابتداء من نصوص القرآن الكريم ، وعلى الرغم من ظهور هذه الحقيقة فسر بعض المتأخرين التفخيم برعاية الفواصل والالتزام بموضع الوقف والابتداء بحسب ما يأتي بيانه في موضعه من الدراسة .

رواية الحليمي

نقل أبو عبد الله الحسين بن الحسن الحليمي (ت 403 هـ) أصل الحديث من دون ما أدرج معه من شواهد ، في ضمن رواية مُعَلَّقة بحذف أكثر حلقات إسنادها ، ولكنه عقَّب على الحديث بتفسير التفخيم بالجزالة والقوة التي امتاز بها نطق الرجال ، وهو تفسير يوافق دلالته الاصطلاحية المقابلة لدلالة الإمالة من حيث الأداء الصوتي ، ولم يغفل الحليمي عن التصريح بأصالة التفخيم في التنزيل والرخصة في الإمالة ، واحتمال أصالة الإمالة في التنزيل غير ممتنع بحسب رأيه ؛ قال : «فأما التفخيم : قال زيد بن ثابت ، رضي الله عنه : روي عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : (نزل القرآن بالتفخيم) ، ومعنى هذا ، والله أعلم ، أن يقرأ القرآن كاملا على قراءة الرجال ، ولا يخضع الصوت به فيكون مثل كلام النساء ، ولا يدخل في هذا كراهية الإمالة التي اختيار بعض القراء . وقد يجوز أن يكون القرآن أنزل بالتفخيم ، ورخص مع ذلك في إمالة ما تحسن إمالته وتكون هذه الرخصة نازلة على لسان جبريل ، عليه السلام ، أيضا ، لكن لفظه في التنزيل كان التفخيم دون الإمالة»[15] .

رواية الحاكم النيسابوري

روى الحاكم أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري (ت 405 هـ) الحديث في الموضع الخاص بقراءات النبي ، صلى الله عليه وآله وسلم ، من (المستدرك) ، وفي هذا كفاية لتقرير الدلالة اللغوية في رواية الحاكم .

اتصل إسناد رواية الحاكم بمحمد بن عبد العزيز نفسه ، قال : «حدثا أبو علي الحسين بن علي الحافظ ، أنبأ محمد بن الحسين بن مكرم ، ثنا نصر بن علي الجهضمي ، أنبأ بكار بن عبد الله ، ثنا محمد بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف ، حدثني أبو الزناد ، عن خارجة بن زيد ، عن زيد بن ثابت ، رضي الله عنه ، عن النبي ، صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، قال : (أنزل القرآن بالتفخيم) ﴿كهيئة الطير﴾ [آل عمران 49 ، المائدة 110] ، ﴿عذرا أو نذرا﴾ ، و ﴿الصدفين﴾ [الكهف 96] ، و ﴿ألا له الخلق والأمر﴾ [الأعراف 54] ، وأشباه هذا في القرآن . صحيح الإسناد ولم يخرجاه»[16] . كذا زاد عدد الشواهد المدرجة في هذه الرواية ثلاثة على شاهد سورة المرسلات الذي اقتصرت عليه من قبل روايتا الضرير وابن الأنباري من دون فاصل عن لفظ الحديث وكأنها منه ، ومن دون ضبط أيضا . وعلى الرغم من احتمال تحقق الدلالة الصوتية لمصطلح (التفخيم) في ألفات وفتحات ألفاظ ما ضمَّته رواية الحاكم من الشواهد المزادة إن سياق الكلام فيها يُشعر بانفصالها ، أي الشواهد ، عن العبارة المتقدمة عليها ، أي إنها مدرجة ليست من أصل الحديث ، وفي ما تقدم ذكره من روايات الحديث يثبت صحة هذا التقدير ، وكذلك في ما يأتي ذكره منها .

رواية أبي عمرو الداني

روى أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت 444 هـ) الحديث أيضا ، وكان له موقف غريب من تفسير مصطلح (التفخيم) فيه بنحو استوجب عرضه بشيء من التفصيل .

روى الداني أصل حديث نزول القرآن بالتفخيم من دون الشواهد القرآنية بإسناد يتصل بإسناد ابن الأنباري ، محمد بن القاسم ، وذلك في ضمن ما نقله من احتجاج أبي عبيد القاسم بن سلام بالحديث على فشو القراءة بـ (الفتح) وسعة انتشارها بالقياس لـ (الإمالة) ، والفتح مصطلح مرادف للتفخيم بحسب ما يأتي بيانه في المبحث الثاني ، على حين يرى الداني استواء الظاهرتين في هذه الصفة ، وورود مصطلح التفخيم في الحديث لا يؤدي الغاية التي قصد لها أبو عبيد بالاستشهاد به ، لأنه يحتمل دلالات لغوية أخرى غير الدلالة الاصطلاحية المقابلة لدلالة الإمالة بحسب رأي الداني ؛ قال : «واحتج أبو عبيد

DOI:10.18018/URUK/019-12/2290-2313

القاسم بن سلام في ذلك بالحديث المروي عن زيد بن ثابت ، عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وهو ما حدَّثناه محمد بن أحمد بن علي ، قال : حدثنا محمد بن القاسم ، قال : حدثنا بشر بن موسى ، قال حدثنا محمد بن مقاتل ، قال : أخبرنا عمار بن عبد الملك ، قال حدثني محمد بن عبد العزيز القرشي قاضي المدينة ، قال : حدثنا أبو الزناد ، عن خارجة بن زيد ، عن زيد بن ثابت : أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قال : (نزل القرآن بالتفخيم) . قال أبو عبيد :لو نُظِرَ في مثل هذا ، يعني في ما أُميل لانقلاب ألفه من ياء إلى الأصل ، للزم من رد الياء إلى الياء رد الواو إلى الواو ،وهم إنما يُرجعون الواو إلى الألف...»[17] .

ثم عاد الداني إلى رواية الحديث بالإسناد نفسه ، وبالصيغة الأصيلة المجردة من الشواهد ، لكنه ألحق به شاهد سورة المرسلات بصيغة لا تفيد أنه آية قرآنية ، وبضبط الذال بالسكون أيضا ، ونسب الزيادة بحسب ما جاءت نسبتها عند ابن الأنباري ، أي إلى محمد بن مقاتل عن عمار بن عبد الملك ، وذلك في معرض رده ، أي الداني ، على رأي أبي عبيد في الحكم بتفوق التفخيم على الإمالة في الشهرة والشيوع استنادا إلى ورود مصطلح التفخيم في الحديث ، بوجوه أخرى تحتملها دلالة مصطلح (التفخيم) الواردة في الحديث غير دلالته المشهورة على تفخيم النطق بالألف والفتحة بسبب دخول صوتي الواو والضمة فيهما ، وكان الوجه الثاني من الوجوه التي احتج بها الداني : دلالة التفخيم على التثقيل الناتج من تحريك عين الكلمة الساكنة العين بالضمة أو الكسرة ، واستند في تعضيد هذا الوجه إلى روايتين نقلهما من (كتاب أبي عبيد) نفسه بحسب قوله ، وقد يكون المقصود أحد كتابي أبي عبيد المفقودين : (القراءات) أو (لغات القرآن) لا (فضائل القرآن) الذي خلا من استخلاص الدلالة الصوتية أو اللغوية لمصطلح التفخيم بحسب ما تقدم نقله منه ، أي من كتاب (فضائل القرآن) لأبي عبيد .

ومما ورد في الرواية الأولى: «على أن بعض المتقدمين قد فسَّر معنى التفخيم في الخبر نفسه بأنه تحريك أوساط الكلم بالضم والكسر في المواضع المُختلَف فيها دون إسكانها ، لأنه أشبع لها وأفخم ، وكذلك جاء أيضا مُفَسَّراً عن ابن عباس ؛ حدثنا ابن خاقان المقرئ ... عن الزهري ، قال : قال ابن عباس : نزل القرآن بالتثقيل والتفخيم ، نحو قوله تعالى ﴿الجُمُعَة﴾ [الجمعة 9] وأشباه ذلك من التثقيل ، وهذا من رواية أبي عبيد في كتابه»[18] .

ومما ورد في الرواية الأخرى : «وحدثنا محمد بن علي ، قال : حدثنا محمد بن القاسم ، قال : حدثنا بشر بن موسى ، قال : حدثنا محمد بن مقاتل ، قال : أخبرنا عمار بن عبد الملك ، قال : حدثني محمد بن عبد العزيز ، قال : حدثنا أبو الزناد ، عن خارجة بن زيد ، عن زيد بن ثابت : أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قال : (نزل القرآن بالتفخيم) . قال محمد بن مقاتل : سمعت عمارا يقول : عُذْرا نُذْرا . ومن ما يُبيِّن صحة هذا ما رواه أبو عبيد نفسه أيضا في كتابه عن معمر بن المثنى ، عن العرب ، كما حدثنا ابن خاقان ، قال : حدثنا أحمد ، قال : حدثنا علي ، قال : حدثنا أبو عبيد ، قال : قال له أبو عبيدة : أهل الحجاز يفخمون الكلام كله إلا حرفا واحدا : (عشْرة) فإنهم يجزمونه ، قال : وأهل نجد يتركون التفخيم في الكلام إلا هذا الحرف فإنهم يقولون (عشِرة) بالكسر»[19] .

وسائر ما ساقه الداني من وجوه ليحرف دلالة التفخيم الأصيلة عن وجهتها التي احتج بها أبو عبيد يعبر عن قناعات خاصة به ، والذي يعنينا منها الآن هذا الوجه الثاني الذي قام على أساس من روايتين رواهما أبو عبيد نفسه ، واستساغة الداني الرد على أبي عبيد بما رواه أبو عبيد نفسه أمر لا يخلو من غرابة ، ذلك أن استشهاد الداني بما في الروايتين وقع في غير محله ؛ فبصرف النظر عما يفيده العطف بين (التثقيل) و (التفخيم) في كلام ابن عباس من مغايرة أو من اختلاف الدلالة إن دلالة التفخيم في الروايتين على التثقيل الناتج من تحريك عين الكلمة الساكنة العين لا يعدو أن يكون وجها من وجوه الدلالة اللغوية العامة ، أي إنها دلالة مستمدة من المعنى اللغوي العام للتفخيم الذي هو التعظيم بصرف النظر عن مواضعه أو مصاديقه سواء أكانت في النطق أم في غيره[20] ، ولذلك استعمل علماء التجويد مصطلحا آخر للتفخيم مشتقا من الدلالة العامة أيضا هو (التسمين) ؛ قال ابن الطحان : «التفخيم : عبارة عن سِمَنِ الحرف وامتلاء الفم بصداه . والتغليظ : عندنا بمعناه»[21] . وقال ابن الطحان أيضا :

DOI:10.18018/URUK/019-12/2290-2313

«التغليظ : عبارة عن سمن يدخل على جسم الحرف فيمتلئ الفم بصداه . والتفخيم : عبارة عنه أيضا»[22] . وقال ابن بلبان : «ترقيق الحرف : إنحافه ، وتفخيمه : تسمينه»[23] ، ولا شك في أن اللفظ المتحرك العين أفخم وأضخم وأسمن وأثقل من اللفظ الساكن العين في حدود هذه العلاقة المعنوية بين التفخيم والتعظيم والتسمين ومن ثم التثقيل .

والمصطلح الأخير ، أي (التثقيل) وما يرادف معناه من صيغ مشتقة من جذره ، والمصطلح المقابل له ، أي (التخفيف) وما يؤدي معناه من صيغ مشتقة من جذره أيضا ، هما السائدان عند أغلب العلماء في معالجة أمثلة المسألة التي ينتمي إليها المثالان اللذان استشهد بهما الداني : التثقيل لأهل الحجاز ، والتخفيف لتميم أو عامة القبائل النجدية ، ولم يرد مصطلح التفخيم في سائر المصادر التي ذكرت شواهد لهذه المسألة من اللهجتين[24] ، وفيها من القراءات القرآنية شيء ليس بالقليل[25] ، بل ورد مصطلحا التثقيل والتخفيف أو ما يؤدي دلالتيهما ولم يرد مصطلح التفخيم حتى عند جمهور من تكلم على نسبة شاهدي الداني : (الجمعة)[26] ، و (العشرة)[27] ، ومن هنا يظهر تعسف الداني ، بل تمحله ، في تغليب الدلالة النادرة لمصطلح التفخيم على الدلالة الشائعة لمصطلح التثقيل وصفا لما في هذين الشاهدين من معالجة صوتية ، ناهيك بعدم صدق الوصف ، سواء أَعُبِّرَ عنه بالتفخيم أم بالتثقيل ، على بعض الشواهد المدرجة مع أصل الحديث ، أعني قوله تعالى ﴿ألا له الخلق والأمر﴾ ؛ على حين كان مراد أبي عبيد من دلالة التفخيم في الحديث الذي احتج به : الدلالة الاصطلاحية التي تسالم عليها جمهور أهل العلم ، فضلا عن أن الداني اجتزأ من كلام ابن عباس بما فيه موضع الشاهد عنده وأغفل تتمته التي تصلح لأن تكون موضع استشهاد آخر يرد استشهاد الداني إلى أصله الذي هو الاجتهاد في التعبير عن ظاهرة صوتية بمصطلح يندر التعبير به عنها ، إذ اشتملت التتمة على مصطلح (التسهيل) في مقابل للتفخيم بمعنى التثقيل ، والمصطلح المشهور في هذه المقابلة هو (التخفيف) لا (التسهيل) .

وتتمة كلام ابن عباس وردت مختصرة عند الذهبي بحسب ما يأتي بيانه في موضع الكلام على روايته ، كما وردت عند ابن قدامة المقدسي (ت 620 هـ) الذي روى أصل الحديث مُعَلَّقاً ، وألحق به كلام ابن عباس تاما ، قال ابن قدامة : «روي عن زيد بن ثابت أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قال : (نزل القرآن بالتفخيم) . وعن ابن عباس قال : أنزل القرآن بالتفخيم والتثقيل ، نحو (الجمعة) وأشباه ذلك ، ونقل عنه التسهيل في ذلك ، وأن قراءتهما في الصلاة جائزة»[28] .

وغاية ما نخلص إليه من شأن موقف الداني من تفسير مصطلح التفخيم في حديث نزول القرآن بالتفخيم أن ما ذهب إليه من تفسير التفخيم بمعنى التثقيل المفاد من تحريك أواسط الألفاظ المقابل لمعنى التخفيف بسكونها به حاجة إلى برهان يفوق البرهان المفاد من شبه الإجماع على الدلالة الاصطلاحية اللغوية الأصيلة الأولى قوة ، فضلا عن أن بعض ما أُلْحِقَ من شواهد قرآنية بأصل الحديث لا تجوز فيه دلالة التفخيم على التثقيل البتة لخلوه من أي حرف يحتمل هذه المعالجة الصوتية ، وقصارى ما يمكن استخلاصه من احتجاج الداني لدلالة التفخيم على التثقيل المقابل للتخفيف ، وجود هذه الدلالة النادرة للتفخيم بجانب دلالته الرئيسة المقابلة لدلالة الإمالة .

رواية البيهقي

روى أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت 458 هـ) الحديث عن الحاكم بالإسناد نفسه وبالشواهد نفسها ، وعقب عليه بنقل كلام الحليمي في تفسير التفخيم بما يوافق الدلالة الاصطلاحية المقابلة لدلالة الإمالة بالنص الصريح على النقل عن الحليمي ، وزاد هو ، أي البيهقي ، قوله : «وعلى هذا ، إن صح هذا الإسناد ، فيجوز أن يكون نزول هذه الألفاظ كما روي في هذا الخبر ، ووردت الرخصة على لسان جبريل ، عليه السلام ، في قراءة بعضها على ما ذهب إليه بعض القراء»[29] ، أي ما ذهب إليه بعض القراء من القراءة بالإمالة ، وهو توجيه يشعر بميل البيهقي إلى الرأي السائد بأصالة التفخيم في مقابل الإمالة .

وأما عبارة (إن صح هذا الإسناد) في كلام البيهقي فتشعر بوجود شك في صحة إسناد الحديث ، ولكن سياق كلامه من حيث الاهتمام بدلالة الحديث وشرح معنى التفخيم ، فضلا عن اكتفائه بالإشارة المجردة وعدم تكلف البحث في هذه مسألة

DOI:10.18018/URUK/019-12/2290-2313

، ينبئ عن غلبة القول بصحة الإسناد على القول بضعفه عنده .

رواية أبي القاسم الهذلي

روى أبو القاسم يوسف بن علي الهذلي المغربي (ت 465 ه) أصل الحديث مُعَلَّقاً بحذف الإسناد في كتابه (الكامل في القراءات) ، في ضمن الجزء الخاص بالإمالة منه الذي جالد فيه أشد المجالدة في الدفاع عنها وحشد الأدلة على مساواتها بالتفخيم من حيث الأصالة ، حتى أنه ترك الحديث عن التفخيم البتة وانصرف انصرافا تاما للكلام على الإمالة ؛ قال الهذلي : «هذا كتاب أجمع فيه إمالات القراء ، وأعرض عن التفخيم ، وأذكر الإضجاع ، فأبين التوفيق ومذهبي واختياري فيها . واعلم أن الإمالة والتفخيم لغتان ليست أحديهما [كذا] أقدم من الأخرى بل نزل القرآن بهما جميعا ... لكن رأيت قوما زعموا أن الإمالة ليست بلغة صحيحة ، وأن القرآن لم ينزل بها ، وإنما نزل بالتفخيم ... وأما ما احتج به من قوله ، عليه السلام : (فخموا القرآن ، فإنه مفخم ، ونزل بالتفخيم) ، فمعناه : عظموا القرآن ...»[30] .

وتفسير التفخيم بالدلالة المعنوية للتعظيم سبق إليه الداني في بعض توجيهاته لمصطلح التفخيم الوارد في الحديث بقوله : «والوجه الثاني : أن يكون معنى (نزل بالتفخيم) ، أي : بالتعظيم والتبجيل ، أي عظموه وبجلوه ، فخط [كذا] بذلك على تعظيم القرآن وتبجيله»[31] .

ويشبه هذا التفسير للتفخيم عند الداني ، ومن ثم الهذلي ، تفسيره بالتثقيل عند الأول منهما من حيث الفرادة ، بل الشذوذ في مقابل الإجماع ؛ ذلك أن سياق الحديث عند جمهور رواته وشراحه والمستشهدين به يدل دلالة قاطعة على إرادة الناحية الصوتية في النطق والأداء تمييزا للصفة المقصودة فيه ، أي أصالة النزول ، من الإمالة أو غيرها ، وأما الصفة المعنوية فليست بها حاجة لتكلف التقرير والبيان ؛ لأنها معلومة بحكم الضرورة .

رواية العوتبي

روى سلمة بن مسلم العوتبي الصحاري (ق 5 ه) أصل الحديث مُعَلَّقاً من دون الشواهد المدرجة معه أيضا ، ولكنه شرح دلالة مصطلح التفخيم اللغوية المفصحة عما فيه من معالجة صوتية في الاستشهاد له بأمثلة من الألفاظ القرآنية بنحو ما ورد نقل أدائها عن لهجتها الأصيلة ، أي اللهجة الحجازية مع التصريح الجلي بصفة الأصالة ؛ قال العوتبي : «روى زيد بن ثابت أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قال : (نزل القرآن بالتفخيم) . والتفخيم : هو أن تكون الألف كالواو في لغة أهل الحجاز ؛ يقولون (الصلوة) و (الزكوة) و (المشكوة) ، يرومون الضمة ولا يضمونها ضمة صحيحة ، ولا ألفا خالصة . والتفخيم أكثر صحة وأكثر فصاحة ، وهو أصل الكلام ، والإمالة فرع عليه . والرفع في الكلام تفخيم . والألف المُفَخَّمُ : الذي يُضارع الواو ، يُشبهها . والفعل : فَخُمَ فَخامة . وألف التفخيم ضِدُّ ألف الإمالة ، وهي مثل الألف التي في ﴿الصلاة﴾»[32] .

رواية سبط الخياط البغدادي

روى أبو محمد عبد الله بن علي بن أحمد ، سبط الخياط البغدادي (ت 541 ه) ، أصل الحديث مُعَلَّقاً من دون الشواهد المدرجة أيضا ، وتميزت روايته باقترانها ببسط الكلام على أصالة التفخيم في مقابل الإمالة ، والحجة الرئيسة التي استدل بها على ذلك جواز التفخيم مطلقا واقتصار الإمالة على مواضع محكومة بضوابط خاصة ؛ قال سبط الخياط البغدادي : «اعلم أن الإمالة والتفخيم لغتان فصيحتان ، والتفخيم هو الأصل ، والإمالة فرع عليه . والدليل على أن التفخيم هو الأصل أنه اللغة القديمة السابقة ، إلى هذا ذهب سيبويه والأخفش . والإمالة : اللغة الطارئة اللاحقة ، فاستحقت التأخير لما يلحقها من التغيير ، وهذا دأب الفرعية في أصول العربية . والذي يقوي ما ذكرناه أن القرآن نزل بالتفخيم ، كذا رواه زيد بن ثابت ، رضي الله عنه ، أيضا . وأن الألف لها حال يجوز فتحها ، وليس كل ألف يجوز أمالتها ، ألا ترى أنه لا يجوز إمالة (بابل) و (آخر) . فلما كانت الإمالة لا تجوز إلا في مواضع ، والفتح يطرد في الجميع ، علم حينئذ بأن الفتح هو الأصل ، والكسر لا يجوز ، ولا يجوز إلا لعلة تعرض»[33] .

ووصف سبط الخياط للتفخيم بأنه (اللغة القديمة السابقة) موافق لشيوع هذا التعبير في وصف لهجة أهل الحجاز ، وما قيل من أن القرآن أنزل بلغتهم بوصف عام[34] ، أو بلغة قريش بوصف خاص[35] .

رواية ابن قدامة المقدسي

DOI:10.18018/URUK/019-12/2290-2313

روى موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد ، ابن قدامة المقدسي (ت 620 هـ) أصل الحديث مُعَلَّقاً من دون الشواهد المدرجة أيضا ، وأتبعه بكلام لابن عباس فيه بيان مهم لجانب من دلالته اللغوية الأصيلة بحسب ما تقدم بيانه في موضع الكلام على موقف الداني من هذه المسألة .

رواية علم الدين السخاوي

بحث علم الدين علي بن محمد السخاوي (ت 643 هـ) ظاهرة الإمالة في موضع خاص بها من كتابه (جمال القراء) ، ابتدأه بقوله : «الإمالة والتفخيم لغتان ، وبجميع ذلك نزل القرآن ، وليس بعض القراء بذلك أولى من بعض ، ولم يزل نقل ذلك متواترا من زمان رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، حتى وصل إلينا»[36] .

ويكاد يقوم بحث السخاوي في الإمالة على أساس من كلام الداني عليها في كتاب (الفتح والإمالة) ، فأورده بنصوصه التامة ، وشرحه شرحا مفصلا أظهر مغازيه ، وسد خلله ، ولم يفته التنبيه على بعض ما انفرد به الداني من آراء تحتمل الرد بغيرها . وكان حديث نزول القرآن بالتفخيم من ضمن ما نقله السخاوي عن موضعي وروده في كتاب الداني[37] .

رواية القرطبي

روى أبو عبد الله محمد بن أحمد بن فرح القرطبي المفسر (ت 671 هـ) أصل الحديث مُعَلَّقاً أيضا ، وذلك في ضمن الموضع الخاص بآداب قراءة القرآن من كتابه (التذكار) ، وعقب عليه بنقل نص كلام الحليمي في تفسير التفخيم بما يوافق الدلالة الاصطلاحية المقابلة لدلالة الإمالة موصولا ببعض كلام سبط الخياط البغدادي على الموازنة بين التفخيم والإمالة من حيث الأصالة والقدم ، ولكن من دون إشارة إلى النقل عنهما حتى بدا الكلام كأنه من خالص لفظه ؛ قال القرطبي : «ومنها : يستحب أن يقرأه بالتفخيم ، فإن زيد بن ثابت روى عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، قال : (نزل القرآن بالتفخيم) ، ومعناه : أن يقرأ على قراءة الرجال ، ولا يخضع الصوت به ، فيكون مثل قراءة النساء ، ولا يدخل في هذا كراهية الإمالة التي هي اختيار بعض القراء . ويجوز أن يكون نزول القرآن نزل بالتفخيم ، ورخص مع ذلك في إمالة ما يحسن إمالته ، وتكون هذه الرخصة نازلة على لسان جبريل ، عليه السلام أيضا . ولكن لما كان لفظه بالتنزيل التفخيم دون الإمالة ، لأن الإمالة لا تجوز إلا في مواضع مخصوصة والفتح يطرد في الجميع ، علم أن التفخيم هو الأصل ، وهو اللغة القديمة السابقة ، والإمالة لا تجوز إلا لعلة تعرض على ما بيناه في كتاب (الانتهاز في القراءات)»[38] .

رواية الذهبي

روى شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت 748 هـ) أصل الحديث مُعَلَّقاً أيضا على أنه مرفوع من حديث زيد بن ثابت ، ولكنه رجح أن يكون موقوفا على زيد من دون بيان العلة ، ولم نعرف للحديث رواية بهذه الصفة سوى رواية أبي عبيد التي تقدم ذكرها ، فلعل الذهبي استند إليها في ترجيحه ولم يصرح بها ، وذلك في ضمن ترجمة حمزة بن حبيب الزيات من (معرفة القراء الكبار) ، قال الذهبي : «ويروى عن زيد بن ثابت مرفوعا قال : (نزل القرآن بالتفخيم) ، والأشبه : موقوف . وعن سليمان بن أرقم ، عن الزهري ، عمن حدثه ، عن ابن عباس ، قال : نزل القرآن بالتفخيم والتثقيل ، نحو (الجمعة) و (الزهرة) وأشباه هذا من التثقيل . سنده واه»[39] .

وورد استشهاد الذهبي بالحديث في سياق الكلام على بعض خصائص قراءة حمزة ، وبوجه خاص ميله ، هو والكسائي ، إلى الإمالة ، إذ روي عنهما من أبواب القراءة بها ما لم يرو عن غيرهما من القراء السبعة[40] ، حتى وصفهما بعض علماء القراءات بأنهما (صاحبا الإمالة)[41] ، ويبدو أن حمزة فاق الكسائي في القراءة بالإمالة ، وانفرد بالقراءة بها في مواضع لم يقرأ بها غيره[42] ، وصارت قراءته معيارا لقراءة غيره بها[43] ، لذلك جاء استشهاد الذهبي بحديث نزول القرآن بالتفخيم في معرض نقد ميل حمزة الشديد للإمالة .

ويفاد من سياق رواية الذهبي أيضا اقتناعه بصحة رواية الحديث ، بدليل استشهاده به في مسألة مهمة من جهة ، وسكوته عن نقده بنحو ما نقد الأثر المقترن به المروي عن ابن عباس بأن (سنده واه) من جهة أخرى ، فضلا عن أن تصريحه برجحان الرواية الموقوفة على الرواية المرفوعة يعبر بجلاء عن هذه القناعة أيضا ، ولذلك يبدو من الغرابة بمكان طعنه بصحة الحديث نفسه حين تعقب رواية الحاكم له في (المستدرك) بقوله : «حديث خارجة بن زيد مرفوعا : (أنزل القرآن بالتفخيم) . قال : صحيح . قلت : لا والله ، فيه العوفي ،

وهو مجمع على ضعفه ، وبكار بن عبد الله ليس بعمدة ، والحديث واه منكر»[44] .

وصدق سبي حكم الذهبي على الحديث بالوهاء والنكارة مما يحتمل القبول والرد بكلام لا يتسع المقام لتفصيله ، ولكن طرف منه أن القول بضعف محمد بن عبد العزيز العوفي الناس فيه عيال على محمد بن إسماعيل البخاري ، إذ هو أول من وصف حديث محمد بأنه (منكر)[45] ، ثم صار كلامه مستندا للإجماع الذي زعمه الذهبي حين عمدت طائفة من علماء الرجال ، وفيهم الذهبي نفسه ، إلى عد محمد بن عبد العزيز في الضعفاء والمجروحين بالنص الصريح على متابعتهم للبخاري من دون علم منهم بعلة الحكم[46] ، لأن البخاري لم يصرح بها فطويت بموته وظل المعول في تقليده ، في هذه المسألة وغيرها ، على المشهور من وثاقته وعلمه بالرجال ، ولو ثبتت الصفة الأولى للبخاري بالإجماع ففي الأخرى كلام لبعض القدماء في مصنفات مستقلة[47] ، وإشارات متفرقة في كتب التراجم الرجال[48] ، أيسر ما يقتضيه التروي في متابعة آرائه في الرجال ، بل للبخاري نفسه في الاعتذار عن نقص علمه بأحوال طائفة من الرجال احتياطات عبر عنها بصيغة (لا أدري) تقتضي من متابعيه الموقف نفسه في أقل تقدير[49] .

وأما السبب الآخر الذي استند إليه الذهبي في حكمه ، أي قوله (وبكار بن عبد الله ليس بعمدة) ، فيكفي في رده ما تقدم بيانه من أن بكارا لم ينفرد برواية الحديث عن العوفي ، بل شاركه فيها اثنان هما يوسف بن الغرق الذي انتهت روايته عند أبي عبيد ، وأبو اليقظان عمار بن عبد الملك المستملي الذي انتهت روايته عند ابن سعدان الضرير وابن الأنباري وأبي عمرو الداني وناهيك بهم علماء في الحديث وسائر العلوم .

وبصرف النظر عن صدق السببين اللذين استند إليهما الذهبي في (استدراكه على مستدرك الحاكم) من الحكم على الحديث بأنه واه منكر تظل قناعته بصحته المفادة من سياق روايته له في (معرفة القراء الكبار) هي الأصل في موقفه منه ، وهو الموقف المجمع عليه عند عامة من روى الحديث ، ولاسيما الذين صرحوا بصحته كالحاكم ، ثم السيوطي الذي رمز له بعلامة الصحة في (الجامع الصغير) على وفق ما يأتي بيانه قريبا ، فضلا عن أبي عمرو الداني الذي ألجأته مضايق البحث عن وجه يرد به الدلالة الاصطلاحية للتفخيم في الحديث إلى التعسف في صرفها إلى غير وجهتها المشهورة بحسب ما تقدم بيانه ، وكان له في القول بضعف الحديث مندوحة عن ذلك لو كان الحديث ضعيفا أو منكرا .

رواية الزركشي

روى بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت 794 هـ) حديث نزول القرآن بالتفخيم في كتابه (البرهان في علوم القرآن) نقلا عن أبي عبد الله الحسين بن الحسن الحليمي ، وظهر من مقابلة المنقول بما تقدم ذكره من رواية الحليمي في كتابه (المنهاج في شعب الإيمان) أن الزركشي كان ينقل عن هذا الكتاب ، ومن ثم تكون صفات روايته صفات رواية الحليمي نفسها من حيث تعليق الإسناد بحذف أكثر حلقاته ، الاقتصار على رواية أصل الحديث من دون ما أدرج معه من شواهد ، والتعقيب على الحديث بتفسير التفخيم بالجزالة والقوة التي امتاز بها نطق الرجال ، وهو تفسير يوافق دلالته الاصطلاحية المقابلة لدلالة الإمالة من حيث الأداء الصوتي ، وعدم إغفال التنبيه على التصريح بأصالة التفخيم في التنزيل والرخصة في الإمالة ؛ قال الزركشي : «يستحب قراءته بالتفخيم والإعراب ، لما يروى (نزل القرآن بالتفخيم) ؛ قال الحليمي : معناه أن يقرأ على قراءة الرجال ، ولا يخضع الصوت فيه ككلام النساء ، قال : ولا يدخل في كراهية الإمالة التي هي اختيار بعض القراء . وقد يجوز أن يكون القرآن نزل بالتفخيم ، فرخص مع ذلك في إمالة ما يحسن إمالته على لسان جبريل ، عليه السلام»[50] .

رواية السيوطي

روى السيوطي (ت 911 هـ) أصل الحديث في غير واحد من مصنفاته ، فقد ذكره في (جمع الجوامع) مخرجا في (إيضاح الوقف والابتداء) لابن الأنباري ، و (المستدرك) للحاكم ، و (شعب الإيمان) للبيهقي[51] . وذكره في كل من : (الجامع الصغير) ، و (الدر المنثور) مخرجا في كتابي ابن الأنباري والحاكم ، ورمز له في الكتاب الأول بعلامة الصحة (ص)[52] ، وتضمن كلامه عليه في الكتاب الآخر ملاحظة تفيد وقوع اشتباه في إيراد الشاهد الأول من الشواهد الملحقة بأصل الحديث في رواية الحاكم ، أعني قوله تعالى ﴿كهيئة الطير﴾ ، إذ الأصل فيه عبارة (كهيئة) من دون لفظة (الطير) ، أي إن العبارة من كلام بعض

DOI:10.18018/URUK/019-12/2290-2313

رجال الإسناد في التمهيد للتمثيل ببقية الشواهد ؛ قال السيوطي : «وأخرج ابن الأنباري في (الوقف والابتداء) ، والحاكم وصححه ، وضعفه الذهبي ، عن زيد بن ثابت ، عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، قال : (أنزل القرآن بالتفخيم) . قال عمار بن عبد الملك : كهيئة ﴿عُذُرا أو نُذُرا﴾ ... وأشباه هذا في القرآن»[53] .

وذكر السيوطي الحديث أيضا في موضعين من (الإتقان) ، اكتفى في الموضع الأول بتخريجه في (المستدرك) و (شعب الإيمان) بالسياق الكاشف عن شبهة إيراد الشاهد الأول نفسه ، ثم أتم التخريج بالإشارة إلى كتاب ابن الأنباري ، ومن صيغة رواية الحديث في هذا المصدر استدل السيوطي على تجرد أصله من الشواهد ، قال : «أخرج الحاكم ، والبيهقي ، عن زيد بن ثابت : أن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، قال : (انزل القرآن بالتفخيم) كهيئة ﴿عذرا أو نذرا﴾ ، و ﴿الصدفين﴾ ، و ﴿ألا له الخلق والأمر﴾ وأشباه هذا . قلت : أخرجه ابن الأنباري في كتاب (الوقف والابتداء) فبين أن المرفوع منه (أنزل القرآن بالتفخيم) فقط ، وأن الباقي مدرج من كلام عمار بن عبد الملك أحد رواة الحديث»[54] ، ومر بنا من قبل أن عمارا نقل بقية الكلام عن محمد بن عبد العزيز ، عن أبي الزناد ، عن خارجة بن زيد .

والموضع الآخر لورود الحديث في (الإتقان) هو خاتمة النوع الثلاثين منه : (في الإمالة والفتح وما بينهما) ، ولقد أحسن السيوطي إذ ختم هذا الباب بهذا الحديث ، لأنه منار هذه المسألة وعمادها وأصلها الأول ، وزاد في الإحسان حين جمع في هذه الخاتمة معظم الوجوه التي فُسِّرَ بها مصطلح التفخيم بلفظ موجز في قوله : «كره قوم الإمالة ، لحديث (نزل القرآن بالتفخيم) . وأجيب عنه بأوجه ، أحدها : أنه نزل بذلك ، ثم رخص في الإمالة . ثانيها : أن معناه أنه يقرأ على قراءة الرجال ، لا يخضع الصوت فيه ككلام النساء . ثالثها : أن معناه : أنزل بالشدة والغلظة على المشركين ؛ قال في (جمال القراء) : وهو بعيد في تفسير الخبر ، لأنه نزل أيضا بالرحمة والرأفة . رابعها : أن معناه : بالتعظيم والتبجيل ، أي عظموه وبجلوه ، فحض بذلك على تعظيم القرآن وتبجليه . خامسها : أن المراد بالتفخيم : تحريك أوساط الكلم بالضم والكسر في المواضع المختلف فيها دون إسكانها ، لأنه أشبع لها وأفخم ؛ قال الداني : وكذا جاء مفسرا عن ابن عباس ، ثم قال : حدثنا ابن خاقان ...»[55] ، وختم السيوطي هذه الخاتمة بعرض موجز لما تقدم بسطه من رأي الداني ، ولم يعلق عليه بشيء كما لم يعلق على أي وجه من الوجوه المتقدمة ، ولكن إقدامه على وضع الحديث في خاتمة النوع الخاص بالفتح والإمالة ينبئ عن قناعته بالدلالة الاصطلاحية اللغوية للتفخيم في مقابل الدلالة الاصطلاحية اللغوية للإمالة .

رواية المتقي الهندي

روى المتقي الهندي ، علي بن حسام الدين ، ت 975 هـ ، في (كنز العمال) أصل الحديث مخرجا في (إيضاح الوقف والابتداء) لابن الأنباري ، و (المستدرك على الصحيحين) للحاكم النيسابوري[56] ، وسياق هذا التخريج يعني الاقتناع بصحة الحديث ، فضلا عن دلالته اللغوية ، لتتحقق الوصفين في مصدري التخريج .

رواية المناوي

روى محمد عبد الرؤوف بن تاج الدين المناوي (ت 1031 هـ) في (فيض القدير) ، و (التيسير) أصل الحديث نقلا عن (الجامع الصغير) للسيوطي ، ذلك أن كتابي المناوي هما بعض شروح كتاب السيوطي ، والثاني منهما تلخيص الأول ، ونص ما ورد في الكتاب الأول بشأن الحديث : «(أنزل القرآن بالتفخيم) : أي التعظيم ، ومن تفخيمه إعطاؤه حقه وقفا وابتداء ، فإن رعاية الفواصل تزيد في البيان ، وزيادته تورث التوقير ، أي التعظيم ، يعني اقرؤوه على قراءة الرجال ، ولا تخضعوا الصوت به ككلام النساء ولا يدخلوا فيه كراهة الإمالة التي هي اختيار بعض القراء . (ابن الأنباري في كتاب الوقف والابتداء) ، (ك في التفسير من حديث بكار بن عبد الله ، عن محمد بن عبد العزيز العوفي ، عن أبي الزناد ، عن خارجة ، عن أبيه زيد بن ثابت) . قال الحاكم : صحيح ، فقال الذهبي : لا والله ، العوفي مجمع على ضعفه ، وبكار ليس بعمدة ، والحديث واه منكر ، إلى هنا كلامه . وأنت بعد إذ عرفت حاله علمت أن المصنف في سكوته عليه غير مصيب»[57] .

ومن ملاحظة الكلام المتقدم نصه يظهر محافظة المناوي على تخريج السيوطي للحديث في (إيضاح الوقف والابتداء) لابن

DOI:10.18018/URUK/019-12/2290-2313

الأنباري ، و (المستدرك على الصحيحين) للحاكم ، ولكنه زاد في الشرح زيادتين لم يذكر مصدرهما .

اتسمت الزيادة الأولى بالتخليط والاضطراب ، وهي شرح معنى التفخيم بتفسير واحد ملفَّق من ثلاث دلالات مستقلة اختلطت حتى بلغ من اختلاطها أن سُبْكت سَبْكا محكما بحيث استحال تمييز بعضها من بعض إلا بإعادة صياغة عباراتها ، منها اثنتان سبق المتقدمون المناويَّ إليهما ، هما : الدلالة المعنوية التي هي تعظيم القرآن . والدلالة اللغوية المفادة من قراءة القرآن على قراءة الرجال ، وهي جوهر الدلالة الاصطلاحية الأصيلة للتفخيم المقابلة لدلالة الإمالة . والدلالة الأخيرة اخترعها المناوي ولم يسبقه إليها أحد ، وهي تفسير التفخيم برعاية الفواصل وإعطاء القراءة حقها من الوقف والابتداء ، إذ لا مناسبة بين الموضوعين بحسب ما تقدمت الإشارة إليه في موضع الكلام على رواية ابن الأنباري في كتابه (الوقف والابتداء) ، ولعل ورود الحديث في هذا الكتاب هو الذي أغرى المناوي بالمجازفة في تفسير التفخيم بالوقف والابتداء ، بل هو السبب المتعين بورود التخريج في هذا الكتاب عند السيوطي الذي نقله المناوي من دون رجوع إلى الأصل ، إذ لو رجع إلى أصل كتاب ابن الأنباري لمنعته ملاحظة مناسبة الاستشهاد بالحديث من تخيل علاقة جوهرية مباشرة بين التفخيم والوقف والابتداء لا وجود لها في الحقيقة .

وتميزت الزيادة الأخرى بالنقص والخلل ، وهي تنبيه المناوي على موقف الذهبي من صحة الحديث ، والتغافل عن موقف السيوطي الصريح من هذه المسألة في (الجامع الصغير) المعبر عنه بوضع علامة الصحة على الحديث لا السكوت عنها بحسب ما ادعى المناوي ، ولا بد من أن السيوطي بنى حكمه على ما شاع من موقف جمهور رواة الحديث ، وفيهم أفذاذ من العلماء المتقدمين كأبي عبيد والضرير وابن الأنباري وأبي عمرو الداني ، في روايته أو الاستشهاد به والاحتجاج له من دون طعن بصحته متنا وإسنادا ، وهي نتيجة بلغها السيوطي بجد واجتهاد وسعة اطلاع قصرت عنها همة المناوي .

وسرى في كلام المناوي على الحديث في كتابه الآخر ما سرى في كلامه عليه في كتابه الأول من ضروب النقص والاضطراب والخلل بحكم الضرورة ، لأن (التيسير) تلخيص لـ (فيض القدير) ، ولكنه أحسن في التلخيص بأمر واحد هو حذف تفسير التفخيم بالوقف والابتداء ، ولعل ذلك من بعض (القال والقيل) الكثير الذي حفل به (فيض القدير) وأمَرَهُ بحذفه من (التيسير) (بعض المحبين) بحسب قوله في مقدمة الكتاب : «وبعد فإني لما شرحت فيما مضى (الجامع الصغير من حديث البشير النذير) كوى قلب الحاسد لما استوى ، فجهد أن يأتي له بنظير ، فرجع إليه بصره خاسئا وهو حسير ، فلما آنس من نفسه القصور والتقصير ، عمد إلى الطعن فيه بالتطويل ، وكثرة القال والقيل ، فلقطع ألسنة الحسدة المتعنتين ... أمرني بعض المحبين أن اختصر القول اختصارا ...»[58] . ونص كلام المناوي على الحديث في هذا الكتاب هو : «(أنزل القرآن بالتفخيم) : أي التعظيم ، يعني اقرؤوه على قراءة الرجال ، ولا تخفضوا الصوت به ككلام النساء (ابن الأنباري في كتاب الوقف والابتداء) ، (ك في التفسير عن زيد بن ثابت) . قال الحاكم : صحيح ، فقال الذهبي : لا والله»[59] .

رواية العزيزي

روى علي بن أحمد العزيزي (ت 1070 هـ) أصل الحديث في (السراج المنير) نقلا عن (الجامع الصغير) للسيوطي ، ذلك أن كتاب العزيزي هو بعض شروح كتاب السيوطي أيضا ، ونص كلام العزيزي في شرح الحديث هو «(أنزل القرآن بالتفخيم) : أي بالتعظيم ، يعني : اقرؤوه على قراءة الرجال ولا تخفضوا الصوت به ككلام النساء . وقال العلقمي : ولا يدخل في ذلك قراءة الإمالة التي هي اختيار بعض القراء ، فيرخص فيها مع كونه نزل بالتفخيم ، في إمالة ما تحسن إمالته . (ابن الأنباري في كتاب الوقف والابتداء) . (ك عن زيد بن ثابت) . قال الشيخ حديث صحيح»[60] .

وصواب (العلقمي) في النص المتقدم : (الحليمي) ، وقد أحسن العزيزي في اختياره نقل كلام الحليمي في تفسير التفخيم بتشبيهه بما في نطق الرجال من جزالة وقوة ، وهو التفسير القائم على الإشارة إلى الدلالة الاصطلاحية اللغوية للتفخيم المقابلة لدلالة الإمالة من حيث الأداء الصوتي ، مع التصريح بأصالة التفخيم في التنزيل والرخصة في الإمالة . ثم زاد العزيزي في الإحسان حين وثق برصانة موقف السيوطي من مسألة

صحة الحديث فذكره بنص صريح من دون تعقيب أو استدراك .

رواية الحفني

روى أبو المكارم نجم الدين محمد بن سالم بن أحمد الحفني (ت 1181 ه) جزءا من الحديث في كتابه (حاشية على السراج المنير) للعزيزي نقلا عن الكتاب الذي بنى عليه حاشيته . وكان مرور أبي المكارم على الحديث مصداقا لكنيته ، إذ اكتفى من التعليق عليه بعبارات مختصرة تضمنت تفسير التفخيم بالتعظيم ؛ وللتعظيم عنده دلالتان ، الأولى : مراعاة الوقف والابتداء ، ويغلب على الظن أنه نقلها بتصرف من (فيض القدير) لأنها لم ترد في مصدر آخر غير هذا الكتاب بحسب ما تقدم بيانه ، والأخرى : إخراج الحروف من مخارجها ، وهي دلالة جديدة لم يسبقه إليها أحد ، ولكن صلتها بالدلالة الاصطلاحية اللغوية الدقيقة للتفخيم ضعيفة ؛ قال الحفني : «قوله : (بالتفخيم) : أي ينبغي لكم أن تقرؤوه بالتعظيم بأن تقفوا على الوقوفات المطلوبة ، وتخرجوا الحروف من محالها ، وغير ذلك»[61] .

رواية الأمير الكبير

روى الأمير الكبير محمد بن إسماعيل الصنعاني (ت 1182 ه) في (التنوير) أصل الحديث نقلا عن (الجامع الصغير) للسيوطي ، لأن كتاب الأمير هو شرح من شروح كتاب السيوطي ، ونص كلامه فيه «(أنزل القرآن بالتفخيم) : أي مصاحبا للإجلال والتعظيم ، مأمورا من أزل عليهم بتعظيمه ، من (فخمه) : إذا (عظمه) ، وهو أحد أوجه سردها المصنف في (الإتقان) . (ابن الأنباري في الوقف . ك عن زيد بن ثابت) . قال الحاكم : صحيح . وقال الذهبي : لا والله ، العوفي مجمع على ضعفه ، وبكار ليس بحجة . أراد بالعوفي : هو محمد بن عبد العزيز العوفي ، أحد رجاله . وبكار : هو ابن عبد الله ، رواه العوفي عنه»[62] .

ويلاحظ في كلام الأمير على الحديث رجوعه في شرحه إلى ما ذكره السيوطي نفسه من وجوه تفسير التفخيم في (الإتقان) ، ولكنه اختار منها التفسير بالدلالة المعنوية على الرغم من ظهور الدلالة اللغوية الاصطلاحية أتم الظهور في المصدر الذي رجع إليه ، أي (الإتقان) ، فضلا عن مصدري التخريج اللذين نقلهما عن (الجامع الصغير) ، أي (الوقف والابتداء) لابن الأنباري ، و (المستدرك) للحاكم .

وقد قصر الأمير في جانب آخر من كلامه حين تجاهل موقف السيوطي من مسألة صحة الحديث ، فضلا عن سكوته هو عن إبداء رأيه مما نقله من موقف الذهبي في هذه المسألة .

تعيين نسبة التفخيم إلى لهجات القبائل العربية

نُسبت ظاهرة التفخيم ، بنحو عام ، إلى لهجة أهل الحجاز بحسب المفاد من بعض النقول التي تقدم ذكر نصوصها ، وقد فخَّم الحجازيون الألف والفتحة بنحو مطلق ، قال سيبويه في (باب ما تُمال فيه الألفات) بعد أن ذكر جمهرة من شواهد الإمالة : «وجميع هذا لا يُميله أهل الحجاز»[63] ، وقال في سياق الكلام على الأصوات المستحسنة : «وألف التفخيم ، يُعْنى بلغة أهل الحجاز ، في قولهم : الصلاة ، والزكاة ، والحياة»[64] . والتوجيه الصوتي لتفخيم الألف والفتحة دخول صوتي الواو والضمة فيهما «فيتولَّد منها ألف التفخيم على لغة أهل الحجاز»[65] . واستُحْسِنَت الألف المفخمة في لهجة أهل الحجاز «لامتزاجها بغيرها ، وكانت مستحسَنة لما يُفاد بالامتزاج من تسهيل اللفظ وتحسينه في المسموع»[66] . وقال أبو القاسم الهذلي : «اعلم أن الإمالة على ضروب ، ولها دواع من اللغات والطباع ، وهي مراتب ، وللقراءة فيها لطائف ونوادر ، ولها موانع ، وهي : تقريب الفتح من الكسر والألف من الياء طلب الخفة مع إرادة الفتح والألف على لغة غير أهل الحجاز ، فأما الحجازية فإنهم يطلبون التفخيم ، وهو الأجذل [كذا] ، ولاسيما قراءة أهل مكة»[67] .

وأكثر ما نُسب إلى اللهجة الحجازية من شواهد التفخيم قراءات قرآنية ، من ذلك ما ذكره الأزهري في التعليق على ما رواه هو من قراءات في الأحرف المقطعة في الآية الأولى من سورة مريم ﴿كهيعص﴾ : «هذه لغات اتفق أهل اللغة على جواز جميعها مع اختلافها ، فبأيّها قرأت فأنت مصيب ، فاقرأ كيف شئت ، والتفخيم فيه لغة أهل الحجاز»[68] . وقال الأزهري أيضا في غضون كلامه على قراءة تفخيم الألفات في فواصل آيات سورة الشمس : «من فخم هذه الألفات كلها فلأن التفخيم هي لغة أهل الحجاز القديمة»[69] .

DOI:10.18018/URUK/019-12/2290-2313

وللتفخيم جهة أخرى في النسبة هي نسبتها إلى فصحاء أهل اليمن ، نقلها في زمن واحد عالمان متقدمان متعاصران هما الفراء وقطرب ، وكان وصف الأول منهما لفحوى التفخيم دقيقا حين قال : «(الصلاة ، والزكاة ، والحياة ، والنجاة) وكل ما كُتب بالواو : لم نسمع فيها من العرب إلا ما تَعْرِفُ ، ويقال إنها كانت لغة لفصحاء أهل اليمن : يشيرون إلى الرفع : (الصلوة) و (الزكوة) ، ونرى أنهم إنما كتبوها بالواو لهذه اللغة»[70] .

وقد وقف أبو عمرو الداني عند قول الفراء ففسره وأوضح معناه بدقة في قوله : «وقد نحت العرب بالألف نحو الواو التي هي أصلها لشدة تفخيمهم إياها في نحو (الصلوة) و (الزكوة) ، ألا ترى أنك إذا جمعت قلت : (صلوات) و (زكوات) ، فظهرت الواو التي هي الأصل ؛ قال الفراء : ويقال إنها كانت لغة الفصحاء من أهل اليمن ، يشيرون إلى الرفع : (الصلوة) و (الزكوة) ؛ قال : وترى أنها كتبت بالواو لهذه اللغة ، فقد قَرَّبَ هؤلاء الألف من الواو التي هي أصلها بأن شَمّوها الضمَّ وكتبوها بالواو من أجل ذلك ، كما قُرِّبَ (أوليك) من الياء التي هي أصلها بأن أمالوها وكتبوها بالياء من أجل ذلك أيضا . وإن كان لا إمام لتلك اللغة من أئمة القراءة فقد صحَّت عن العرب ، وفشت عن الفصحاء ، واستُعملت في الكتابة ، وحكاية أبي عبيد إنما هي عنهم»[71] .

وأما قطرب فلم ينقل بنحو دقيق ما نسب إلى فصحاء أهل اليمن من هذه الظاهرة بحسب ما رواه عنه ابن جني الذي زاد اضطراب النقل ابتعادا عن جوهر المسألة حين فسَّر تفخيم ألف (الصلاة ، والزكاة ، والحياة) بإبدالها بالواو غير المدية في قوله : «روينا عن قطرب أن بعض أهل اليمن يقول : الصَّلَوْةُ ، والزَّكَوْةُ ، والحَيَوْةُ ، بواو قبلها فتحة ، فهذه الواو بدل من ألف صَلاةٍ ، وزَكاةٍ ، وحَياةٍ ، وليست بلام الفعل من صَلوتُ ، وزَكوتُ ، ألا ترى أن لام الفعل من (الحَياة) ياء وقد قالوا : الحَيَوْةُ»[72] .

وكأن الذي أوهم قطربا ، ومن ثم ابن جني ، في القول بإبدال الألف واوا إبدالا صريحا تاما الوقوف على هذه الألفاظ مكتوبة بالواو ، والحال أنها كتبت بهذه الصيغة للإشعار بما فيها من تفخيم ؛ قال مكي : «الألف المفخمة : وهي ألف يُخالط لفظَها تفخيمٌ يُقرِّبها من لفظ الواو كما كانت الألف المُمالة ألف يُخالط لفظَها ترقيقٌ يقربها من الياء ، فهي نقيضة الألف الممالة ... وذلك فاش في لغة أهل الحجاز ، ... وقال بعض النحويين : ولذلك كتبت (الصلوة) بالواو على لغة الذين فخموا الألف»[73] . وقال المهدوي : «وما كُتب بالواو ، من نحو (الصلاة) وشبهها ، فهو محمول عندهم على لفظ التفخيم ، لأن الألف إذا فُخِّمَت نُحيَ بها نحو الواو في اللفظ ، فكُتبت على ذلك . ويجوز أن تكون كُتبت بالواو لتدل على أن أصلها الواو»[74] . وقال العوتبي : «ألف التفخيم نحو ألف (الصلوة) يكتبها أهل الحجاز بالواو ، وإنما هي (الصلاة) ، إلا أنها لما فُخِّمَت كُتبت واوا»[75] . وقال السخاوي في ضمن ما نقله عن شيخه الشاطبي من أدلة أصالة الفتح أو التفخيم : «والخامس : أن الصحابة ، رضوان الله عليهم ، رسموا في المصاحف كلها (الصلاة) و (الزكاة) و (الحياة) و (النجاة) و (مشكاة) و (مناة الثالثة) بالواو . وقال النحاة : رسموها كذلك على لغة أهل الحجاز لشدة تفخيمهم ، فتوهموا لشدة الفخامة أنها واو ، فرسموها على ذلك»[76] .

وربما جرى هذا التوجيه على أمثلة أخرى في لهجة أهل اليمن ، أو لهجات بعض القبائل اليمنية الأصول ، في شواهد مسموعة ، منها ما قيل من إبدال ألف (العصا) واوا في لهجة أهل اليمن[77] ، وإبدال ألف (الأفعى) واوا أيضا في لهجة طيئ[78] ، والراجح أن يكون المقصود بوصف الإبدال هنا : التفخيم نفسه .

صلة الدلالة اللغوية الخاصة لحديث التفخيم بحديث نزول القرآن على سبعة أحرف

بلغ حديث نزول القرآن على سبعة أحرف من الشهرة المستندة إلى تواتره مرتبة تغني عن تفصيل الكلام على كثرة طرقه ووجوه تفسيره[79] ، ولعل أول طرقه وأشهرها طريق ابن عباس[80] ، وهو ، أي ابن عباس ، أول من فسر الأحرف بلغات القبائل بحسب استقرائنا[81] .

وتكمن القيمة الجوهرية لحديث نزول القرآن بالتفخيم في أنه مصداق ناصع من مصاديق حديث الأحرف السبعة ، فضلا عن كونه الفيصل في الحكم بالأصالة على عامة ما شاع في القراءات المتواترة بالتفخيم .

وغاية ما أردنا قوله في هذا الموضع من الدراسة أن البحث في الجانب النظري من موضوعها يمهد السبيل لتحقيق نتيجة

DOI:10.18018/URUK/019-12/2290-2313

كبرى هي الكشف عن امتداد هذا الجانب ليتصل بالمصدر العام المؤسس لمجمل ما يمكن نسبته إلى الموروث النبوي في القراءات القرآنية ، سواء أورد نقل خاص ببعض أجزائه عن النبي ، صلى الله عليه وآله وسلم ، أم لم يرد ، وليميط عن هذا المصدر ما لحقه من غموض بسبب صفة العموم في دلالته .

والمصدر العام هو حديث (نزول القرآن على سبعة أحرف) البالغ من الصحة والشهرة والذيوع والتواتر غاية حدودها ؛ ذلك أن ما توفر لحديث التفخيم من لوازم الصحة والوثاقة ، وما ظهر من دلالة مضمونه على وجه رئيس ثابت من وجوه القراءات القرآنية المتواترة ، كل ذلك يجعله مصداقا ناصعا من مصاديق حديث (نزول القرآن على سبعة أحرف) ، وبه يضيق حيز الاحتمال في تقدير المقصود بـ (الأحرف) التي طالما كثرت الخلافات فيها[82] ، وذلك على وفق الرأي الغالب في تفسير الأحرف بـ (اللغات) ، أي (اللهجات)[83] ، عند حدود اختلاف مستوى الأداء الصوتي ، كما في ظاهرة التفخيم ، أو الاختلاف في أصول المادة اللغوية للصيغ والتراكيب مع ثبات الدلالات أو المعاني ، كما في الشطر الأعظم من وجوه القراءات القرآنية ، اختلافا لا يتعدى حدود الفوارق في هذا المستوى بين لغات القبائل العربية الفصيحة .

وربما بلغ الاحتمال في تقدير المقصود بـ (الأحرف) المقيدة بالمستوى الصوتي (اللغوي) ، أي (اللهجي) ، حيزا أضيق من هذا لو ضبطت (الأحرف) بقيد الدلالة الوضعية للفظ العدد (سبعة) المقترن بها ، فتصير ، بثبات انتماء التفخيم إليها بالصفة اللهجية ، (ستة) ، وغياب التفسير النبوي لحقيقة العدد المحكومة بهذه الصفة ، بحسب علمنا القاصر واطلاعنا المحدود ، لا يمنع من هكذا تقدير .

ثم لا تمكث (الستة الأحرف) أن تؤول إلى استيفاء العدد ببقية المعروف من الظواهر الصوتية في القراءة النبوية المخصوصة النسبة بالنص الصريح على أنها (قراءة) النبي أو (لغته) ، صلى الله عليه وآله وسلم ، من جهة ، ولها امتداد لهجي معروف في لغات القبائل العربية من جهة أخرى ، وحصائل المادة اللغوية الجامعة بين الجهتين المبثوثة في شتى المصادر تكفي لتحقيق هذه الغاية ، بل ربما زادت عليها بنحو يحوج المهتمين بها لانتقاء الشائع المشهور من الظواهر دون الشواهد المفردة ، وبذلك ينجلي قدر ليس بالقليل مما أحاط بدلالة الأحرف السبعة من غموض .

الخاتمة

تفصيل النتائج التي انتهت إليها هذه الدراسة يبدأ من الوقوف على حديث فريد في بابه هو قول النبي ، صلى الله عليه وآله وسلم : (أنزل القرآن بالتفخيم) ، وموطن فرادة هذا الحديث انعدام النظير ، إذ لم نقف في الموروث النبوي المتعلق بالقراءات واللغات على حديث يخص ظاهرة أخرى فيه بهذا القدر من التصريح ، فضلا عما أفاده من حصول المواضعة على الدلالة اللغوية لمصطلح التفخيم في زمن متقدم .

وكانت نتيجة البحث عن مصادر حديث نزول القرآن بالتفخيم ورواياته تحقيق وروده في سبعة وعشرين مصدرا هي مصادره المنشورة كلها بحسب ما انتهى إليه استقراؤنا ، وحاصل ما ورد فيها من رواياته على وفق اصطلاحنا في تعيين الروايات وتسميتها : ست روايات متصلة الإسناد ، واحدة موقوفة ، وخمس مرفوعة ، فضلا عن سبع روايات معلَّقة بحذف أكثر حلقات الإسناد ، وأربع عشرة رواية منقولة من المصادر المدونة .

ونتيجة البحث في الموقف من صحة الحديث عند من رواه واستشهد به واحتج لدلالته اللغوية الأصيلة من علماء الحديث والتفسير والقراءات واللغة اتفاق جمهورهم ، ولاسيما من تقدم منهم في الزمن ، على صحته متنا وإسنادا بحسب المفاد من سياقات رواياتهم المجردة من أي نقد أو تجريح ، فضلا عن تحقق هذه الصفة بالنص الصريح عند الحاكم النيسابوري في (المستدرك على الصحيحين) ، وجلال الدين السيوطي في (الجامع الصغير) . ويستثنى الذهبي من الإجماع في هذه المسألة ، إذ اصطف في (معرفة القراء الكبار) مع القائلين بصحة الحديث بحسب المفاد من كلامه في هذا المصدر ، ثم شذ عنهم في (استدراكه على مستدرك الحاكم) حين أعل الحديث بضعف واحد من رجال إسناده هو محمد بن عبد العزيز العوفي ، ونقل المناوي رأي الذهبي بسياق يشعر بموافقته له .

ونتيجة البحث في مواقفهم من دلالة مصطلح التفخيم الوارد في الحديث اتفاق جمهورهم أيضا على أنه يعني الدلالة الاصطلاحية اللغوية المقابلة لدلالة مصطلح الإمالة ، أي دلالة

DOI:10.18018/URUK/019-12/2290-2313

تفخيم النطق بالألف أو الفتحة بسبب دخول صوت الواو أو الضمة فيهما ، في مقابل دلالة إمالة النطق بالألف نحو الياء ، وبالفتحة نحو الكسرة ، مع التصريح الجلي بأن النطق بالألف والفتحة من دون إمالة هو الأصل ، ومن ثم صار الحديث حجة مانعة لحقيقة وقوع التفخيم في القراءة النبوية في عامة ما يحتمل التفخيم من آيات القرآن بحسب المفاد من ظاهر لفظه ، وأما شواهد الآيات المدرجة معه أو الملحقة به فمعالجة قراءة عامة ما فيها من ألفات وفتحات ، أو بعضها في أقل تقدير ، بالتفخيم استنادا إلى مضمونه ، أي مضمون الحديث ، غير ممتنعة ابتداء سواء أورد نص صريح على تعيين قراءة نصوص هذه الشواهد بهذه القراءة أم لم يرد . ويستثنى من الإجماع في هذه المسألة كل من أبي عمرو الداني وأبي القاسم الهذلي من المتقدمين ، والمناوي والحفني من المتأخرين ؛ إذ كانت لهم تفسيرات غريبة لدلالة مصطلح التفخيم الوارد في الحديث لا يحتملها السياق اللغوي الأصيل لرواياته .

وكانت نتيجة البحث في استقصاء جهات نسبة ظاهرة التفخيم إلى أصولها من لهجات القبائل العربية هي تحقق نسبتها قبائل البيئة الحجازية نسبة أصيلة ، إذ فخَّم الحجازيون الألف والفتحة بنحو مطلق في القراءة وفي الكلام المعتاد ، ووصفت الألف المفخمة في لهجتهم بأنها من الأصوات المستحسنة لامتزاجها بغيرها بما يفيده الامتزاج من تسهيل النطق وتحسين الصوت في السمع . وأظهر البحث أيضا وجود جهة أخرى في نسبة ظاهرة التفخيم هي نسبتها إلى لغة فصحاء أهل اليمن ، نقلها عنهم الفراء بوصف دقيق حين أشار إلى دخول صوت الواو في ألف ألفاظ مثل (الصلاة ، والزكاة ، والحياة ، والنجاة) ، وأن هذه الألفاظ ونظائرها كتبت بالواو لهذه اللغة ، أي لأجل تقريب الألف من الواو . ونقل نسبة هذه السمة إلى فصحاء أهل اليمن أيضا محمد بن المستنير الملقب بقطرب بحسب ما رواه ابن جني ، ولكن الأخير فسر كتابة أمثلتها بالواو بأنه إبدال محض بخلاف ما عليه الرأي السائد في توجيه كتابتها بالواو الذي سبق إلى ذكره الفراء وغيره من علماء اللغة والقراءات .

وثمة نتيجة مهمة أخرى تتبع ما أداه حديث (نزول القرآن بالتفخيم) من إيفاء الجانب النظري في موضوع الدراسة حقه من البحث وتمهد السبيل لتحقيق نتيجة أكبر منها ، هي تحقيق وجود صلة وثيقة بينه وبين حديث (نزول القرآن على سبعة أحرف) بوصفه من المصاديق الناصعة لهذا الحديث الأخير .

الهوامش

(1) الكنز في القراءات العشر 83 .
(2) إعراب القرآن للنحاس 112 .
(3) الفتح والإمالة 14 . وينظر: في الدراسات اللغوية والقرآنية الإمالة في القراءات واللهجات 41 – 59 .
(4) مرشد القارئ 71 .
(5) النشر 29/2 – 30 . وينظر: شرح طيبة النشر للنويري 562 ، والإتحاف 74 .
(6) الفتح والإمالة 12 .
(7) ينظر: أصوات العربية بين التحول والثبات 321 ، والمصطلح الصوتي 146 .
(8) ينظر: شرح الهداية 124 ، وكنز المعاني 600 ، 621 ، ولطائف الإشارات (ط . المركز) 1162/3 ، 1195 ، وشرح المقدمة الجزرية لطاش كبري زاده 120 ، والمصطلح الصوتي 149 .
(9) ينظر: معاني القراءات 534 ، والإيضاح في القراءات 91 – 92 .
(10) ينظر: التبصرة في القراءات 370 ، وظاهرة الإمالة 87 .
(11) فضائل القرآن لأبي عبيد (ط . المغرب) 180/2 .
(12) الوقف والابتداء للضرير 70 – 71 . وتقدم في رواية أبي عبيد ، كما سيأتي في بقية مصادر الحديث ، أن خارجة رواه عن أبيه لا عن النبي ، صلى الله عليه وآله وسلم ، بنحو مباشر ، وهو الأقرب إلى الصواب .
(13) ينظر: الوقف والابتداء للضرير 66 – 76 .
(14) إيضاح الوقف والابتداء 14/1 .
(15) المنهاج في شعب الإيمان 237/2 – 238 .
(16) المستدرك على الصحيحين 277/2 ، 290.
(17) الفتح والإمالة 14 – 15 .
(18) الفتح والإمالة 18 .
(19) الفتح والإمالة 18 – 19 .
(20) ينظر: التاج (فخم) 199/33 .
(21) الإنباء في أصول الأداء 39 .
(22) مرشد القاري 73 – 74 .
(23) بغية المستفيد في علم التجويد 46 .
(24) ينظر: العين (سبط) 293/3 ، وإصلاح المنطق 98 – 99 ، والتعليقات والنوادر 64/1 ، وطبقات النحويين واللغويين 248 ، والخصائص 28/1 ، وتهذيب إصلاح المنطق 289/1 ، وشرح الفصيح لابن

DOI:10.18018/URUK/019-12/2290-2313

هشام 161 ، والشوارد في اللغة 202 ، والعباب (أقط) 17 ، وإيجاز التعريف 180 ، والمغني في النحو 60/1 ، وفرائد المعاني 198 .

(25) ينظر: السبعة 62 ، وإعراب القرآن للنحاس 172 ، 231 ، 278 ، والمحتسب 237/1 ، 311 ، 367 ، 42/2 ، 50 ، 51 ، 109 ، 110 ، 336 ، 337 ، 401 ، وشواذ القراءات 278 ، والفريد في إعراب القرآن المجيد 319/1 ، 396/2 ، 71/3 ، وإبراز المعاني 334 ، وغيث النفع 78 ، والإتحاف 143 ، 197 ، 326 .

(26) ينظر: لغات القرآن للفراء 414 ، ومعاني القرآن له 156 .

(27) ينظر: إعراب القرآن للنحاس 124 ، ومعاني القراءات 51 ، والمحتسب (ط . العلمية) 167/1 ، 374 ، والفريد في إعراب القرآن المجيد 271/1 ، وشرح الوافية 310 ، وشرح ابن الناظم (ط . العثمانية) 286 ، وكاشف الخصاصة 336 ، والإتقان 225/2 ، والبهجة المرضية 180/2 ، والإتحاف 231 .

(28) المغني لابن قدامة 165/2 .

(29) الجامع لشعب الإيمان 546/3 – 547 .

(30) الكامل في القراءات 308 – 312 .

(31) الفتح والإمالة 18 . وصواب (فخط) : (فحص) بحسب ما ورد من نقل السخاوي كلام الداني في جمال القراء 505 .

(32) الإبانة في اللغة 329/1 – 330 .

(33) المبهج في القراءات الثمان 224 – 225 .

(34) ينظر: الإبانة في اللغة 10/2 .

(35) تنظر كتب فضائل القرآن لكل من:النسائي 67 ، والمستغفري 354/1 – 355 ، وابن كثير 51 ، 66 ، 71 .

(36) جمال القراء 498/2 .

(37) ينظر: جمال القراء 501/2 ، 503 .

(38) ينظر: التذكار للقرطبي 179 .

(39) معرفة القراء الكبار 257/1 .

(40) ينظر: المنتهى للخزاعي 496/1 – 533 ، والاكتفاء لابن خلف 60 – 65 ، والكافي للرعيني 60 – 65 ، والتلخيص لأبي معشر الطبري 178 – 191 .

(41) الاستكمال لابن غلبون 109 .

(42) ينظر: الكامل في القراءات 314 .

(43) ينظر: الإقناع لابن الباذش 304/1 .

(44) مختصر استدراك الذهبي على الحاكم 694/2 ، والمستدرك على الصحيحين (الحاشية) 277/2 .

(45) ينظر: التاريخ الكبير 167/1 ، والتاريخ الصغير 169/2 – 170 .

(46) تنظر كتب الضعفاء لكل من : العقيلي (ط . السلفي) 1262/4 ، وابن عدي (الكامل في الضعفاء – ط . الفكر) 2243/6 – 2244 ، وأبي نعيم 146 ، وابن الجوزي 77/3 ، والذهبي (ديوان الضعفاء) 363 .

(47) ينظر: بيان خطأ محمد بن إسماعيل البخاري في تاريخه 7 ، 16 ، 24 ، 30 ، 43 ، 44 ، 50 ، 51 ، 53 ، 75 ، 80 ، 88 ، 122 ، 128 ، 146 ، ومجلس من أوهام أبي عبد الله البخاري في تاريخه (ملحق بآخر التاريخ الكبير جـ 4 – ق 450/2 – 455) ، وموضح أوهام الجمع والتفريق 9/1 – 213 .

(48) ينظر: الأسامي والكنى للحاكم الكبير 272/2 – 274 ، والمؤتلف والمختلف للدارقطني 205/1 ، 227 ، 232 ، وتاريخ مدينة دمشق 405/31 – 407 ، وتهذيب التهذيب 606/3 – 607 .

(49) ينظر: التاريخ الكبير جـ 1 – ق 210/1 ، 214 ، 219 ، 283 ، 339 ، ورواة الحديث الذين سكت عنهم أئمة الجرح والتعديل 35 – 36 .

(50) البرهان في علوم القرآن 467/1 .

(51) ينظر: جمع الجوامع المسمى بالجامع الكبير 113/2 .

(52) ينظر: الجامع الصغير (ط . العلمية) 163/1 .

(53) الدر المنثور 176/15 – 177 .

(54) الإتقان 125/1 .

(55) الإتقان 241/1 .

(56) ينظر: كنز العمال 53/2 .

(57) فيض القدير 56/3 .

(58) التيسير بشرح الجامع الصغير 2/1 .

(59) التيسير بشرح الجامع الصغير 380/1 .

(60) السراج المنير شرح الجامع الصغير 66/2 .

(61) حاشية الحفني 66/2 .

(62) التنوير شرح الجامع الصغير 280/4 .

(63) الكتاب 118/4 ، وعنه في : لطائف الإشارات (ط . المركز) 1042/3 . وينظر في النص على تحديد التفخيم بلهجة أهل الحجاز أيضا : تنبيه الغافلين 40 .

(64) الكتاب 432/4 . ونقلت كلام سيبويه وشواهده مصادر أخرى من دون نسبته إليه ، ينظر: الفتح والإمالة 12 – 13 ، والمحكم في نقط المصاحف 114 ، وباب من الهجاء لابن الدهان 340 ، وجمال القراء 499/2 .

(65) شواذ القراءات 102 . وينظر: المصدر نفسه 296 ، وأصوات العربية بين التحول والثبات 21 .

(66) الإيضاح في القراءات 91 – 92 .

(67) الكامل في القراءات 312 .

(68) معاني القراءات 280 .

(69) معاني القراءات 548 .

(70) لغات القرآن للفراء 122 .

(71) الفتح والإمالة 20 . وعنه في : جمال القراء 507/2 .

(72) سر صناعة الإعراب (ط . العلمية) 230/2 .

DOI:10.18018/URUK/019-12/2290-2313

(73) الرعاية 109 .
(74) هجاء مصاحف الأمصار 55 .
(75) الإبانة في اللغة العربية 55/1 .
(76) جمال القراء 499/2 .
(77) ينظر: الاشتقاق 54 .
(78) ينظر: المحيط في اللغة (فعو) 2/ 234 .
(79) ينظر: الموطأ 281/2 – 282 ، والسنن المأثورة 172 ، ومسند البزار 425/1 – 426 ، 441/5 – 442 ، 334/14 .
(80) ينظر: صحيح البخاري 1909/4 ، وصحيح مسلم 366/1 ، والإبانة عن معاني القراءات 113 ، وفضائل القرآن لابن كثير 94 ، والبرهان في علوم القرآن 211/1 ، وكنز العمال 54/2 ، وشرح الموطأ للزرقاني 362/1 ، والزيادة والإحسان 473/1 .
(81) ينظر: البرهان في علوم القرآن 283/1 ، ولغات القرآن لأبي عبيد رواية عن ابن عباس 16 ، 69 – 75 .
(82) المصادر التي عرضت الوجوه الكثيرة في تفسير (الأحرف) ، ومنها تفسيرها بـ (اللغات) ليست بالقليلة ، منها : شرح الهداية للمهدوي 4 – 8 ، والتمهيد لابن عبد البر 272/8 – 315 ، والاستذكار له 26/8 – 54 ، ولطائف الإشارات (ط . المركز) 63/1 – 82 .
(83) المصادر التي يفاد منها غلبة هذا الوجه في تفسير (الأحرف) ليست بالقليلة أيضا ، منها : الانتصار للقرآن 384/1 – 392 ، والمرشد الوجيز 93 ، والبرهان في علوم القرآن 283/1 ، ومنجد المقرئين 182 – 185 .

المصادر

(ملاحظة : المعلومات التامة عن أسماء مؤلفي المصادر القديمة وسنوات وفياتهم تذكر عند ورود الاسم أول مرة فقط)

- الإبانة عن معاني القراءات : القيسي ، مكي بن أبي طالب ، ت 437 هـ ، تحـ : د . عبد الفتاح إسماعيل شلبي ، دار نهضة مصر ، القاهرة 1978 .
- الإبانة في اللغة العربية : العوتبي ، سلمة بن مسلم الصحاري ، ت ق 5 هـ ، تحـ : مجموعة محققين ، وزارة التراث القومي والثقافة ، مط . مؤسسة عمان للصحافة والأنباء والنشر والإعلان ، مسقط 1999 .
- إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع : أبو شامة المقدسي ، عبد الرحمن بن إسماعيل ، ت 665 هـ ، تحـ : إبراهيم عطوة عوض ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر : الدمياطي ، أحمد بن عبد الغني ، ت 1117هـ ، تصحيح : علي محمد الضباع ، دار الندوة الجديدة ، بيروت .
- الإتقان في علوم القرآن : جلال الدين السيوطي ، عبد الرحمن بن أبي بكر ، ت 911هـ ، تحـ : محمد أبو الفضل إبراهيم ، منشورات فخر الدين ، مط . نور ، إيران 1422 هـ .
- الأسامي والكنى : الحاكم الكبير ، محمد بن محمد بن أحمد ، ت 378 هـ ، تحـ : يوسف محمد الدخيل ، مكتبة الغرباء الأثرية ، المدينة المنورة 1994 .
- الاستذكار (شرح الموطأ) : ابن عبد البر النمري القرطبي ، يوسف بن عبد الله ، ت 463 هـ ، تحـ : د . عبد المعطي قلعجي ، دار قتيبة ، دمشق – بيروت ، دار الوعي ، حلب – القاهرة 1993 .
- الاستكمال لبيان جميع ما يأتي في كتاب الله عز وجل في مذاهب القراء السبعة : ابن غلبون ، أبو الطيب عبد المنعم بن عبد الله ، ت 389 هـ ، تحـ : د . عبد الفتاح بحيري إبراهيم ، الزهراء للإعلام العربي ، المدينة المنورة 1991 .
- إصلاح المنطق : ابن السكيت ، يعقوب بن إسحاق ، ت 244هـ ، تحـ : أحمد محمد شاكر ، وعبد السلام هارون ، ط 3 ، دار المعارف بمصر 1970 .
- أصوات العربية بين التحول والثبات : د . حسام سعيد النعيمي ، دار الحكمة ، جامعة بغداد 1989 .
- الاشتقاق : ابن دريد ، محمد بن الحسن ، ت 321هـ ، تحـ : عبد السلام هارون ، ط 3 ، مكتبة الخانجي ، القاهرة .
- إعراب القرآن : النحاس ، أحمد بن محمد ، ت 337 هـ ، تحـ : د . زهير غازي زاهد ، ط 2 ، عالم الكتب ، بيروت 2008 .
- الإقناع في القراءات السبع : ابن الباذش ، أحمد بن علي الأنصاري ، ت 540 هـ ، تحـ : د . عبد المجيد قطامش ، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي ، جامعة أم القرى – مكة المكرمة ، دار الفكر – دمشق 1403 هـ .

- الاكتفاء في القراءات السبع المشهورة : أبو طاهر الأندلسي ، إسماعيل بن خلف الأنصاري ، ت 455 هـ ، تحـ : د . حاتم صالح الضامن ، دار نينوى ، دمشق 2005 .
- الإنباء في أصول الأداء : ابن الطحان السماتي ، عبد العزيز بن علي ، ت 561 هـ ، تحـ : د . حاتم صالح الضامن ، مكتبة الصحابة – الشارقة ، مكتبة التابعين – القاهرة 2007 .
- الانتصار للقرآن : الباقلاني ، محمد بن الطيب ، ت 403 هـ ، تحـ : د . محمد عصام القضاة ، دار الفتح – عمان ، دار ابن حزم – بيروت 2001 .
- إيجاز التعريف في علم التصريف : ابن مالك النحوي ، جمال الدين محمد بن عبد الله ، ت 672 هـ ، تحـ : د . حسن أحمد العثمان ، المكتبة المكية ، مكة المكرمة 2004 .
- الإيضاح في القراءات (نص محقق : الأبواب 27-29) : الأندرابي ، أحمد بن عمر ، ت نحو 500 هـ ، تحـ : حقي عبد الرزاق الصالحي ، المورد ، مج 30- عدد 1،2 2002/ .
- إيضاح الوقف والابتداء : ابن الأنباري ، محمد بن القاسم ، ت 328 هـ ، تحـ : محيي الدين عبد الرحمن رمضان ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، دمشق 1971 .
- باب من الهجاء : ابن الدهان ، سعيد بن المبارك ، ت 569 هـ ، تحـ : محمود جاسم الدرويش ، المورد ، مج 15- عدد 4/ 1986 .
- البرهان في علوم القرآن : الزركشي ، بدر الدين محمد بن عبد الله ، ت 794 هـ ، تحـ : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط 3 ، مكتبة دار التراث ، القاهرة 1984 .
- بغية المستفيد في علم التجويد : ابن بلبان ، محمد بن بدر الدين الدمشقي ، ت 1083 هـ ، تحـ : رمزي سعد الدين دمشقية ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت 2001 .
- البهجة المرضية في شرح الألفية : جلال الدين السيوطي ، تعليق : مصطفى الحسيني ، ط17 ، مط . نينوى ، قم 1427 هـ .
- بيان خطأ محمد بن إسماعيل البخاري في تاريخه : ابن أبي حاتم الرازي ، عبد الرحمن بن محمد ، ت 327 هـ (جمعه من كلام الرازيين : أبي زرعة عبيد الله بن عبد الكريم ، ت 264 هـ ، و أبي حاتم محمد بن إدريس ، ت 277 هـ) ، تحـ : عبد الرحمن المعلمي اليماني ، مط . دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد الدكن 1380 هـ .
- تاج العروس من جواهر القاموس : الزبيدي ، محمد مرتضى بن محمد ، ت 1205 هـ ، تحـ : مجموعة محققين ، وزارة الإعلام ، الكويت 1965 – 2001 .
- التاريخ الصغير : البخاري ، محمد بن إسماعيل ، ت 256 هـ ، تحـ : محمود إبراهيم زايد ، دار المعرفة ، بيروت 1986 .
- التاريخ الكبير : البخاري ، تحـ : عبد الرحمن يحيى المعلمي اليماني ، دائرة المعارف العثمانية ، حيدرآباد الدكن ، الهند 1360 – 1378 هـ .
- تاريخ مدينة دمشق : ابن عساكر ، علي بن الحسن ، ت 571 هـ ، تحـ : عمر غرامة العمروي ، دار الفكر ، بيروت 1995 .
- التبصرة في القراءات السبع : مكي القيسي ، تحـ : د . محمد غوث الندوي ، ط 2 ، الدار السلفية ، بومبائي – الهند 1982 .
- التذكار في أفضل الأذكار : القرطبي ، محمد بن أحمد ، ت 671 هـ ، تحـ : بشير محمد عيون ، ط 3 ، مكتبة دار البيان ، دمشق 1987 .
- التعليقات والنوادر : أبو علي الهجري ، هارون بن زكريا ، ت ق 3 هـ ، تحـ : د . حمود عبد الأمير الحمادي ، دار الرشيد – بغداد ، مط . دار الكتب – الموصل 1980 – 1981 .
- التلخيص في القراءات الثمان : أبو معشر الطبري ، عبد الكريم بن عبد الصمد ، ت 478 هـ ، تحـ : محمد حسن عقيل موسى ، منشورات الجماعة الإسلامية لتحفيظ القرآن الكريم ، جدة 1412 هـ .

DOI:10.18018/URUK/019-12/2290-2313

- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد : ابن عبد البر القرطبي ، تح : مجموعة محققين ، ط 2 ، مط . فضالة ، المحمدية – المغرب 1967 – 1992 .
- تنبيه الغافلين وإرشاد الجاهلين عما يقع لهم من الخطأ حال تلاوتهم لكتاب الله المبين : السفاقسي ، علي بن محمد النوري ، ت 1118 هـ ، تح : محمد الشاذلي النيفر ، مط . الرسمية ، تونس 1974 .
- التنوير شرح الجامع الصغير : الأمير الكبير ، محمد بن إسماعيل الصنعاني ، ت 1182 هـ ، تحـ : د . محمد إسحاق محمد ، مكتبة دار السلام ، الرياض 2011 .
- تهذيب إصلاح المنطق : الخطيب التبريزي ، يحيى بن علي ، ت 502 هـ ، تحـ : د . فوزي عبد العزيز مسعود ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد 1991 .
- تهذيب التهذيب : ابن حجر العسقلاني ، أحمد بن علي ، ت 852 ، تحـ : عادل عبد الموجود ، وعلي معوض ، دار الكتب العلمية ، بيروت 2004 .
- التيسير بشرح الجامع الصغير : المناوي ، محمد عبد الرؤوف بن تاج الدين ، ت 1031 هـ ، دار الطباعة الخديوية 1286 هـ .
- الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير : جلال الدين السيوطي ، دار الكتب العلمية ، بيروت 2012 .
- الجامع لشعب الإيمان : البيهقي ، أبو بكر أحمد بن الحسين ، ت 458 هـ ، تحـ : مختار أحمد الندوي ، مكتبة الرشد ، الرياض 2003 .
- جمال القراء وكمال الإقراء : علم الدين السخاوي ، علي بن محمد ، ت 643 هـ ، تحـ : د . علي حسين البواب ، مكتبة التراث ، مكة المكرمة 1987 .
- الجمع الجوامع المعروف بالجامع الكبير : السيوطي ، دار السعادة للطباعة ، القاهرة 2005 .
- حاشية الحفني على السراج المنير شرح الجامع الصغير : الحفني ، نجم الدين أبو المكارم محمد بن سالم بن أحمد الشافعي الخلوتي ، ت 1181 هـ ، مطبوع بهامش السراج المنير للعزيزي .
- الخصائص : ابن جني ، أبو الفتح عثمان ، ت 392 هـ ، تحـ : محمد علي النجار ، ط 4 ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد 1990 .
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور : جلال الدين السيوطي ، تحـ : د . عبد الله عبد المحسن التركي ، دار هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية ، القاهرة 2003 .
- ديوان الضعفاء والمتروكين : شمس الدين الذهبي ، محمد بن أحمد ، ت 748 هـ ، تحـ : حماد محمد الأنصاري ، و محمد الديوي ، مكتبة النهضة الحديثة ، مكة المكرمة 1967 .
- الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة : مكي القيسي ، تحـ : أحمد حسن فرحات ، دار المعارف للطباعة ، دمشق 1973 .
- رواة الحديث الذين سكت عنهم أئمة الجرح والتعديل بين التوثيق والتجهيل : عداب محمود الحمش ، ط 2 ، دار حسان – دار الأماني ، الرياض 1987 .
- الزيادة والإحسان في علوم القرآن : ابن عقيلة المكي ، محمد بن أحمد ، ت 1150 هـ ، تحـ : مجموعة محققين ، جامعة الشارقة ، مركز البحوث والدراسات ، الشارقة 2006 .
- السبعة في القراءات : ابن مجاهد ، أحمد بن موسى ، ت 324 هـ ، تحـ : د . شوقي ضيف ، ط 3 ، دار المعارف ، القاهرة 1988 .
- سر صناعة الإعراب : ابن جني ، تحـ : محمد حسن إسماعيل ، وأحمد رشدي شحاتة ، دار الكتب العلمية ، بيروت 2000 .
- السراج المنير شرح الجامع الصغير : العزيزي ، علي بن أحمد ، ت 1070 هـ ، مط . الخيرية ، القاهرة 1304 هـ .
- السنن المأثورة : الشافعي ، محمد بن إدريس ، ت 204 هـ ، تحـ : د . عبد المعطي أمين قلعجي ، دار المعرفة ، بيروت 19986 .

DOI:10.18018/URUK/019-12/2290-2313

- شرح ألفية ابن مالك : ابن الناظم ، بدر الدين محمد بن جمال الدين محمد ، ت 686 هـ ، تصحيح : محمد سليم اللبابيدي ، المكتبة العثمانية ، بيروت 1312 هـ .
- شرح طيبة النشر في القراءات العشر : أبو القاسم النويري ، محمد بن محمد ، ت 867 هـ ، تحـ : د . مجدي محمد سرور ، دار الكتب العلمية ، بيروت 2003 .
- شرح الفصيح : ابن هشام اللخمي ، أحمد بن محمد ، ت 577 هـ ، تحـ : د . مهدي عبيد جاسم ، دائرة الآثار والتراث ، بغداد 1988 .
- شرح المقدمة الجزرية : طاش كبري زادة ، عصام الدين أحمد بن مصطفى ، ت 968 هـ ، تحـ : د . محمد الأمين ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، المدينة المنورة 1421 هـ .
- شرح الموطأ : الزرقاني ، محمد بن عبد الباقي ، ت 1122 هـ ، مط . الخيرية ، القاهرة 1310 هـ .
- شرح الهداية : أبو العباس المهدوي ، أحمد بن عمار ، ت نحو 449 هـ ، تحـ : د . حازم سعيد حيدر ، مكتبة الرشد ، الرياض 1415 هـ .
- شرح الوافية نظم الكافية : ابن الحاجب ، عثمان بن عمر ، ت 646 هـ ، تحـ : د . موسى بناي العليلي ، مط . الآداب ، النجف الأشرف 1980 .
- شواذ القراءات : الكرماني ، محمد بن أبي نصر ، ت بعد 563 هـ ، تحـ : د . شمران العجلي ، مؤسسة البلاغ ، بيروت 2001 .
- الشوارد في اللغة : الصغاني ، الحسن بن محمد ، ت 650 هـ ، تحـ : عدنان عبد الرحمن الدوري ، مط . المجمع العلمي العراقي ، بغداد 1983 .
- صحيح البخاري : البخاري ، تحـ : د . مصطفى ديب البغا ، دار ابن كثير – دار اليمامة ، بيروت – دمشق .
- صحيح مسلم : القشيري ، مسلم بن الحجاج ، ت 261 ، تحـ : نظر محمد الفاريابي ، دار طيبة ، الرياض 1426 هـ .
- الضعفاء : أبو نعيم الأصبهاني ، تحـ : د فاروق حمادة ، مط. النجاح الجديدة ،الدار البيضاء 1984 .
- الضعفاء : العقيلي ، محمد بن عمرو ، ت 322 هـ ، تحـ : حمدي عبد المجيد السلفي ، دار الصميعي ، الرياض 2000 .
- الضعفاء والمتروكين : ابن الجوزي ، عبد الرحمن بن علي ، ت 597 هـ ، تحـ : عبد الله القاضي ، دار الكتب العلمية ، بيروت 1986 .
- طبقات النحويين واللغويين : أبو بكر الزبيدي ، محمد بن الحسن ، ت 379 هـ ، تحـ : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط 2 ، دار المعارف ، القاهرة 1984 .
- ظاهرة الإمالة وقيمتها في التناسب الصوتي دراسة في تفسير روح المعاني للآلوسي : صفية طبني ، مجلة المخبر ، جامعة محمد خضير ، بسكرة – الجزائر ، عدد 2012/8 .
- العباب الزاخر واللباب الفاخر : الصغاني ، (حرف الهمزة) : تحـ : د . فير محمد حسن . (الحروف : س ، ط ، غ ، ف) : تحـ : الشيخ محمد حسن آل ياسين ، وزارة الثقافة والإعلام ، بغداد 1979 – 1987 .
- العين : الفراهيدي ، الخليل بن أحمد ، ت 175 هـ ، تحـ : د . مهدي المخزومي ، و د . إبراهيم السامرائي ، وزارة الثقافة والإعلام ، بغداد 1981 – 1986 .
- غيث النفع في القراءات السبع : السفاقسي ، تحـ : أحمد محمود الشافعي الحفيان ، دار الكتب العلمية ، بيروت 2004 .
- الفتح والإمالة : أبو عمرو الداني ، عثمان بن سعيد ، ت 4444 هـ ، تحـ : عمر غرامة العمروي ، دار الفكر ، بيروت 2002 .
- فرائد المعاني في شرح حرز الأماني : الصنهاجي ، محمد بن محمد بن داود ، ت 723 هـ ، تحـ : عبد الرحيم بن عبد السلام نبولسي ، رسالة دكتوراه ، جامعة أم القرى ، كلية اللغة العربية 1997 .
- الفريد في إعراب القرآن المجيد : الهمذاني ، المنتجب بن أبي العز بن رشيد ، ت 643 هـ ، تحـ : محمد نظام الدين الفتيح ، مكتبة دار الزمان ، المدينة المنورة 2006 .

DOI:10.18018/URUK/019-12/2290-2313

- فضائل القرآن : ابن كثير الدمشقي ، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر القرشي ، ت 774 هـ ، تحـ : أبو إسحاق الحويني ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة 1416 هـ .
- فضائل القرآن : أبو عبيد ، القاسم بن سلام الهروي ، ت 224 هـ ، تحـ : أحمد عبد الواحد الخياطي ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، مط . فضالة ، المغرب 1995 .
- فضائل القرآن : المستغفري ، أبو العباس جعفر بن محمد ، ت 432 هـ ، تحـ : د . أحمد فارس السلوم ، دار ابن حزم ، بيروت 2006 .
- فضائل القرآن : النسائي ، أحمد بن شعيب ، ت 303 هـ ، تحـ : د . فاروق حمادة ، ط 2 ، دار إحياء العلوم – بيروت ، دار الثقافة – الدار البيضاء 1413 هـ .
- في الدراسات اللغوية والقرآنية – الإمالة في القراءات واللهجات العربية : د . عبد الفتاح إسماعيل شلبي ، ط 2 ، دار نهضة مصر ، القاهرة 1971 .
- فيض القدير شرح الجامع الصغير : المناوي ، ط 2 ، دار المعرفة ، بيروت 1972 .
- كاشف الخصاصة عن ألفاظ الخلاصة : ابن الجزري ، محمد بن محمد ، ت 833 هـ ، تحـ : د . مصطفى أحمد النماس ، مط . السعادة ، القاهرة 1983 .
- الكافي في القراءات السبع : الرعيني ، محمد بن شريح الأندلسي ، ت 476 هـ ، تحـ : أحمد محمود الشافعي ، دار الكتب العلمية ، بيروت 2000 .
- الكامل في الضعفاء : ابن عدي الجرجاني ، عبد الله ، ت 365 هـ ، دار الفكر ، بيروت 1984 .
- الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها : الهذلي ، أبو القاسم يوسف بن علي ، ت 465 هـ ، تحـ : جمال الشايب ، مؤسسة سما ، القاهرة 2007 .
- الكتاب : سيبويه ، عمرو بن عثمان ، ت 180 هـ ، تحـ : عبد السلام هارون ، ط 4 ، مكتبة الخانجي ، القاهرة 2004 .
- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال : المتقي الهندي ، علي بن حسام الدين ، ت 975 هـ ، تحـ : بكري حياني ، و صفوت السقا ، ط 5 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت 1985 .
- الكنز في القراءات العشر : ابن الوجيه الواسطي ، عبد الله بن عبد المؤمن ، ت 740 هـ ، تحـ : هناء الحمصي ، دار الكتب العلمية ، بيروت 1998 .
- كنز المعاني في شرح حرز الأماني : شعلة ، محمد بن أحمد الموصلي ، ت 656 هـ ، تحـ : د . محمد إبراهيم المشهداني ، دار الغوثاني – دار البركة ، دمشق 2012 .
- لطائف الإشارات لفنون القراءات : القسطلاني ، شهاب الدين أحمد بن محمد ، ت 923 هـ ، مركز الدراسات القرآنية ، المدينة المنورة 1434 هـ .
- لغات القرآن : الفراء ، يحيى بن زياد ، ت 207 هـ ، تحـ : د . الموافي الرفاعي البيلي ، المكتبة العصرية ، المنصورة – مصر 2016 .
- لغات القرآن لأبي عبيد القاسم بن سلام رواية عن ابن عباس دراسة في تحقيق النسبة وتعيين الأصول : د . علي محسن بادي ، دار الصفاء – عمان ، مؤسسة الصادق – الحلة 2018 .
- المبهج في القراءات الثمان : سبط الخياط البغدادي ، عبد الله بن علي ، ت 541 هـ ، تحـ : عبد العزيز ناصر السبر ، رسالة دكتوراه ، كلية أصول الدين ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – الرياض 1405 هـ .
- مجلس من أوهام أبي عبد الله البخاري في تاريخه : الأزدي ، عبد الغني بن سعيد المصري ، ت 409 هـ ، مطبوع بآخر ج 4 – ق 2 من (التاريخ الكبير) للبخاري .
- المحتسب : ابن جني ، تحـ : محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت 1998 .
- المحكم في نقط المصاحف : أبو عمرو الداني ، تحـ : محمد حسن إسماعيل ، دار الكتب العلمية ، بيروت 2004 .
- المحيط في اللغة : الصاحب إسماعيل بن عباد ، ت 385 هـ ، تحـ : الشيخ محمد حسن آل ياسين ، وزارة الثقافة والفنون ، بغداد 1978 – 1981 .

DOI:10.18018/URUK/019-12/2290-2313

- مختصر استدراك الحافظ الذهبي على مستدرك أبي عبد الله الحاكم : ابن الملقن ، سراج الدين عمر بن علي ، ت 804 هـ ، تحـ : عبد الله اللحيدان ، و سعد آل حميد ، دار العاصمة ، الرياض 1411 هـ .
- مرشد القارئ إلى تحقيق معالم المقارئ : ابن الطحان السماتي ، تحـ : د . حاتم صالح الضامن ، مكتبة الصحابة – الشارقة ، مكتبة التابعين – القاهرة 2007 .
- المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز : أبو شامة المقدسي ، تحـ : طيار آلتي قولاج ، دار صادر ، بيروت 1975 .
- المستدرك على الصحيحين : الحاكم النيسابوري ، محمد بن عبد الله ، ت 405 هـ ، تحـ : مقبل هادي الوادعي ، دار الحرمين ، القاهرة 1997 .
- مسند البزار (البحر الزخار) : البزار ، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق ، ت 292 هـ ، تحـ : د . محفوظ الرحمن زين الله ، مؤسسة علوم القرآن – بيروت ، مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة 1988 .
- المصطلح الصوتي في الدراسات العربية : د . عبد العزيز الصيغ ، دار الفكر ، دمشق 1998 .
- معاني القراءات : أبو منصور الأزهري ، محمد بن أحمد ، ت 370 هـ ، تحـ : أحمد فريد المزيدي ، دار الكتب العلمية، بيروت 1999.
- معاني القرآن : الفراء ، تحـ : أحمد يوسف نجاتي ، ومحمد علي النجار ، وعبد الفتاح إسماعيل شلبي ، دار السرور ، بيروت .
- معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار : شمس الدين الذهبي ، تحـ : د . طيار آلتي قولاج ، مركز البحوث الإسلامية التابع لوقف الديانة التركي ، استانبول 1995 .
- المغني : ابن قدامة المقدسي ، عبد الله بن أحمد ، ت 620 هـ ، تحـ : د . عبد الله عبد المحسن التركي ، و د . عبد الفتاح الحلو ، ط 3 ، دار عالم الكتب ، الرياض 1997 .
- المغني في النحو : اليمني ، منصور بن فلاح ، ت680 هـ ، تحـ : د . عبد الرزاق السعدي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد 1999 – 2000 .
- المنتهى (في القراءات) : الخزاعي ، أبو الفضل محمد بن جعفر ، ت 408 هـ ، تحـ : د . محمد شفاعت رباني ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، المدينة المنورة 1434 هـ .
- منجد المقرئين ومرشد الطالبين : ابن الجزري ، تحـ : علي محمد العمران ، دار عالم الفوائد ، مكة المكرمة 1419 هـ .
- المنهاج في شعب الإيمان : الحليمي ، أبو عبد الله الحسين بن الحسن ، ت 403 هـ ، تحـ : حلمي محمد فوده ، دار الفكر ، بيروت 1979 .
- المؤتلف والمختلف : الدارقطني ، علي بن عمر ، ت 385 هـ ، تحـ : د . موفق عبد الله عبد القادر ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت 1986 .
- موضح أوهام الجمع والتفريق : الخطيب البغدادي ، أحمد بن علي ، ت 463 هـ ،، تحـ : عبد الرحمن يحيى المعلمي ، مط . مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد الدكن – الهند 1959 .
- الموطأ : مالك بن أنس ، ت 179 هـ ، تحـ : د . محمد مصطفى الأعظمي ، مؤسسة زايد بن سلطان ، أبو ظبي 2004 .
- النشر في القراءات العشر : ابن الجزري ، تقديم : علي محمد الضباع ، ط 2 ، دار الكتب العلمية ، بيروت 2002 .
- هجاء مصاحف الأنصار : أبو العباس المهدوي ، تحـ : د . حاتم صالح الضامن ، دار ابن الجوزي ، الرياض 1430 هـ .

الوقف والابتداء في كتاب الله تعالى : الضرير ، أبو جعفر محمد بن سعدان الكوفي ، ت 231 هـ ، تحـ : محمد خليل الزروق ، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث ، دبي 2002 .

DOI:10.18018/URUK/019-12/2290-2313

Abstract

The relationships of different levels of phonological processing in prophetic hadith to styles pg recitation represented by the hadith of the descent Quran with aggrandizement were studied .The main samples were the narratives and linguistic famous hadith biographical evaluation , etc. In this study , the inductive , analytic and investigative method was used .The purpose of this study is to achieve the origin of hadith in its well-known resources , explain the attitudes of its authentication ,and show the linguistic aspects of aggrandizement. The result of achieving these purpose is to show the placement of prophetic hadith in linguistics and the scientific value in the phonological level .